دراسة في آثار رحلات صيد سلاطين المماليك البحرية (648-784هـ/1250-1382م)

د. سامي بن سعد المخيزيم

كلية الآداب – جامعة الملك سعود

الملخص

دراسة في آثار رحلات صيد سلاطين المماليك البحرية (648-784ه/1250-1382م)

اكتسبت رحلة الصيد أهمية كبرى في الدولة المملوكية وخاصة الرحلات التي كان يشارك فيها سلاطين هذه الدولة، ففي هذه الرحلات إظهار لهيبة الدولة وقوتها بشكل عام وفروسية السلطان المملوكي ومماليكه بشكل خاص. وبسبب طبيعة التركيبة العسكرية لنظام الحكم في الدولة المملوكية فقد غدت لرحلة الصيد تقاليد وتنظيمات حرصت عليها الدولة في فترة قوتها، لذا فقد قام سلاطين المماليك البحرية بعشرات الرحلات التي خُصّصت للصّيد والتنزّه، ولم تخل فترة حكم أي سلطان منهم من ذلك.

في هذه الدراسة قمت بتتبع رحلات صيد سلاطين المماليك البحرية، وما رافق هذه الرحلات من استجمام وترفيه وفروسية وتدريب، وركّزت على الآثار التي ترتبت على هذه الرحلات من سياسية وأمنية واقتصادية واجتماعية، وهي لُبّ هذه الدراسة حيث أن آثار رحلات الصيد عميقة طالت بتأثيرها معظم مفاصل دولة المماليك البحرية.

وقمت بتقسيم البحث إلى قسمين الأول: الآثار السياسية وألحقت به الآثار الأمنية وضمنتها فيه للعلاقة الوثيقة بين العنصرين. والقسم الآخر: خصّصته للآثار الاقتصادية وألحقت به الآثار الاجتماعية لعلاقة المجتمع الوثيقة بالاقتصاد وارتباطه به.

وتوصلت الدراسة إلى أن رحلات الصيد أثّرت في الحياة السياسية والأمنية لدولة المماليك البحرية؛ لما أتاحته من فرصة لممارسة السلطان لدوره الرقابي على أقاليم الدولة، وبما أظهرته من هيبة للدولة داخلياً وخارجياً، كما عُدّ الالتزام بالآداب والتنظيمات المرعية الخاصة بحماية السلطان وأمنه شيئاً ضرورياً، فحينما تُهمل هذه الآداب والتنظيمات يكون أثر هذه الرحلة وبالاً على السلطان بشكل خاص وعلى الدولة المملوكية بشكل عام وقد يكون لها تبعات أمنية خطيرة.

وكذلك بالنسبة للحياة الاقتصادية والاجتماعية، فعلى الرغم من أن هذه الرحلات قد أرهقت خزانة الدولة إضافة إلى إلحاق بعض الضرر بالفلاحين، إلا أنها قد ساهمت في ازدهار النشاط التجاري الخاص بتوفير متطلبات هذه الرحلات من طيور وتجهيزات خاصة بالصيد أو السفر بشكل عام، وانتعاش الأسواق في مصر وارتفاع سمعتها في ذلك العصر.

Abstract

A Study on the Effects of the Bahri Mamluk Sultans' Hunting trips

(648-784 A.H/1250-1382 A.D)

There was an important role for the hunting trip during the Bahri Mamluk State especially the trips in which the Sultan participated. In those hunting trips, there was a display for the State status and strength and the knighthood of the Sultan and his Mamluks. Because of the nature of the military structure in the ruling system in the Mamluk State, the hunting trip developed its own regulations and traditions that the state tried to display. For that, all the Mamluk Sultans hold tens of trips that were allocated for hunting.

In this study, I trace the Bahri Mamluk Sulatns hunting trips and what accompanied those hunting trips wither were knighthood, leisure, or training. At the same time, I focus on the political, economic, social, and secure effects that resulted of those hunting trips. And this part is the heart of this study because the Sultans hunting trips were so deep that had huge impact on the Mamluk State.

This paper is dividing into two parts. The first is the political effects and I merge the secure effects in his part because of the close relation between the political and secure effects. The second is about the economic effects and I merge the social effects because of the close relation between the society and economy.

This study concludes that hunting trips affected the political and secure life of the Bahri Mamluk State because it gave the Sultan the chance to supervisioning the state provinces. At the same time, it shows the importance of the regulations for the security of the Sultan because if those regulations were ignored, the trip would be a destructive practically for the sultan and also the Mamluk State.

In addition, this study concludes that the hunting trips exhausted the Mamluk treasury and affected negatively the peasants. Nonetheless, it contributed in the growth of trade activities especially in commodities that were connected with hunting trips.

المقدمة:

مارس الإنسان الصيد منذ أقدم العصور لحاجته الماسة إليه، ومع تطور المجتمعات البشرية وتنوع وسائل الإنتاج والحصول على الطعام أصبحت الحاجة إلى الصيد أقل مما كانت عليه في العصور الأولى، وإن كانت هذه الحاجة تزداد في بعض الظروف الطارئة.

ولقد تجاوزت علاقة العربي بالصيد حد الحصول على الطعام، فغدت رحلة الصيد متنفس من ضغوطات الحياة وميدان للتدريب على الفروسية والرمي والتعلم على مهارات قطع الفيافي والقفار، ونظمت في هذه الرحلات الأشعار والقصائد. ولما أشرق الإسلام بنوره على البشرية وضع للصيد ضوابط شرعية تهدف إلى تنظيمه والعناية به وقد حوت كتب الفقه الكثير من المباحث والفصول التي عالجت هذه القضية.

وقد اكتسبت رحلة الصيد أهمية كبرى في الدولة المملوكية وخاصة الرحلات التي كان يشارك فيها سلاطين هذه الدولة ففي هذه الرحلات إظهار لهيبة الدولة وقوتها بشكل عام وفروسية السلطان المملوكي ومماليكه بشكل خاص. وبسبب طبيعة التركيبة العسكرية لنظام الحكم في الدولة المملوكية فقد غدت لرحلة الصيد تقاليد وتنظيمات حرصت عليها الدولة في فترة قوتها، وقد عدّ أحد المؤرخين المعاصرين لتلك الفترة عدم الالتزام بهذه التقاليد من علامات بداية تدهور الدولة المملوكية[1].

لذا فقد قام سلاطين المماليك البحرية بعشرات الرحلات التي خُصّصت للصّيد والتنزّه، ولم تخل فترة حكم أي سلطان منهم من ذلك، وكان أكثرهم قياماً بها الظاهر بيبرس والناصر محمد بن قلاوون؛ لطول فترة حكمهما وحاجة البلاد للتفقّد الدائم، بالإضافة إلى الشغف الكبير بهذه الرحلات[2].

تناول عدد من الباحثين موضوع رحلات الصيد في دولة المماليك مثل الدكتور عبد العال عبد المنعم محمد الشامي في كتابه "السرحات السلطانية أماكن الترويح والصيد والفروسية في مصر زمن الأيوبيين والمماليك (567-923ه)"[3] وكذلك الدكتور نبيل محمد عبد العزيز في كتابه "رياضة الصيد في عصر سلاطين المماليك"[4]، والدكتورة نهلة أنيس مصطفى في بحثها المعنون "سرحات الصيد والتريض والنزهة لسلاطين المماليك بمصر"[5]. وهذه الأبحاث مع أهميتها وعمقها إلا أنها لم تتناول بشكل مركّز جانب مهم من جوانب رحلات الصيد السلطانية المملوكية وهي آثار رحلات الصيد على الدولة المملوكية في دورها الأول، ولعل هذه الدراسة تسهم في سد جزء من هذه الفجوة وتملأ الفراغ في المكتبة التاريخية حول هذا الموضوع.

وفي هذه الدراسة قمت بتتبع رحلات صيد سلاطين المماليك البحرية، وما رافق هذه الرحلات من استجمام وترفيه وفروسية وتدريب وركزت على الآثار التي ترتبت على هذه الرحلات من سياسية وأمنية واقتصادية واجتماعية، وهي لُب هذه الدراسة حيث أن آثار رحلات الصيد عميقة طالت بتأثيرها معظم مفاصل دولة المماليك البحرية.

وقمت بتقسيم البحث إلى قسمين الأول: الآثار السياسية وألحقت به الآثار الأمنية وضمنتها فيه للعلاقة الوثيقة بين العنصرين. والقسم الآخر: خصّصته للآثار الاقتصادية وألحقت به الآثار الاجتماعية لعلاقة المجتمع الوثيقة بالاقتصاد وارتباطه به.

لا يفوتني أن أشكر مركز البحوث بكلية الآداب في جامعة الملك سعود على دعمه ومساندته الدائمة.

التمهيد:

اقتبست الدولة المملوكية الكثير من العادات والتقاليد التي كانت موجودة في الدولة الأيوبية، ومن هذه التقاليد رحلات الصيد التي تعدّ مظهراً من مظاهر نظام الإقطاع والفروسية الذي قامت عليه الدولة الأيوبية. وقد حفظت لنا كتب التاريخ الكثير من رحلات الصيد التي قام بها صلاح الدين الأيوبي (567-

---

[1] أحمد بن علي المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، ج3، تحقيق: سعيد عبدالفتاح عاشور، (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، 2009م)، ق2، ص888.

[2] قام الظاهر بيبرس بأكثر من خمسة وعشرين رحلة صيد، والناصر محمد قام بأكثر من سبعة وأربعين رحلة صيد.

[3] الجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت، 1994م.

[4] مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1999م.

[5] نشر هذا البحث في: **مجلة كلية الدراسات الإنسانية**، ع17، جامعة الأزهر، القاهرة، 1999م.

589هـ/1172-1193م) وخلفاءه من سلاطين الدولة الأيوبية؛ فقد مارس صلاح الدين هواية الصيد وكانت له ولابنه العزيز عثمان (589-595هـ/1193-1199م) سرحات كثيرة[1]. وذكر القاضي الفاضل خروج السلطان صلاح الدين الأيوبي إلى بركة الجُب[2] للصيد ولعب الأكرة[3]، في حوادث المحرم سنة 577ه/1181م، عاد بعدها إلى القاهرة في سادس يوم من خروجه. كما كان سبب وفاة ابنه العزيز عثمان سنة 595ه/1198م بالحمى، يعود إلى تعثر فرسه وسقوطه عنه في الأرض، أثناء ركضه وراء ذئب في سرحته للصيد بالفيوم[4].

وكان ينزل الملك الكامل محمد بن العادل الأيوبي (615-635هـ/1218-1238م) لمنطقة العباسة[5] كثيرًا للصيد، وكان يقيم فيها المدة الطويلة، وذلك لوجود مستنقع ماء بجانبها يأوي إليه كثير من طيور الصيد، وقال عنها الكامل: "هذه قفل ديار مصر، إذا أقمت بها أصطاد الطير من السماء، والسمك من الماء، والوحش من الفضاء، ويصل الخبز من قلعتي إليّ بها وهو سخن"[6]. كما بنى بها منازل كبيرة وبساتين، وكذلك بنى أمراؤه بها البساتين، وبقت هذه البساتين والمناظر حتى تلاشت في أيام الملك المعز أيبك التركماني (648-655هـ/1250-1257م)[7].

---

(1) عماد الدين الأصفهاني، **الفتح القسي في الفتح القدسي**، تحقيق محمد محمود صبيح، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2003م)، ص357؛ أحمد بن علي المقريزي، **المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار**، مج 3، قابله بأصوله وأعده للنشر أيمن فؤاد سيد، (لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 2002م)، ص546؛ محمد فتحي الشاعر، **الشرقية في عصري سلاطين الأيوبيين والمماليك**، (القاهرة: دار المعارف، 1997م)، ص115. وقد مارس الزنكيون قبيل بني أيوب رياضة الصيد وألحق أسامة بن منقذ بكتابه الاعتبار، ملحقًا بعنوان "ماحضرتهُ وشاهدته من الصيد والقنص والجوارح مع الزنكيين". انظر: أسامة بن منقذ، **الاعتبار**، تحقيق: عبد الكريم الأشتر، ط2، (بيروت: المكتب الإسلامي، 2003م)، ص294 وما بعدها. بل لقد أُغرم كل من حكم مصر برياضة الصيد منذ ولاة بني أمية بمصر، وحتى حكم بني أيوب. وحول ذلك انظر: عبد العال محمد الشامي، **السرحات السلطانية أماكن الترويح والصيد والفروسية في مصر زمن الأيوبيين والمماليك 567-923هـ**، (الكويت: جامعة الكويت، 1994م) ص27-31.

(2) بركة الحُجَّاج أو بركة الحاج أو بركة الجب، تقع في الجهة البحرية من القاهرة، وعرفت بهذا الاسم لنزول حجاج البر بها عند مسيرهم من القاهرة وعند عودهم، وقد عرفت أولًا بجُب عُميرة، ثم قيل لها أرض الجُب أو بركة الجب نسبة إلى جب يوسف عليه السلام، وهو خطأ لا أصل له، وعرفت بالبركة بسبب انخفاض أرضها عن منسوب الأراضي الزراعية المجاور لها، وهي من متنزهات ملوك القاهرة، وهي تتبع اليوم المطرية بالقاهرة، وكانت من قبل إحدى قرى مركز شبين القناطر بمحافظة القليوبية. انظر: المقريزي، **الخطط**، مج2، ص588، مج3، ص544؛ محمد رمزي، **القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة 1945م**، (القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2010م)، مج2، ق2، ج1 ص31؛ محمد الششتاوي، **متنزهات القاهرة في العصرين المملوكي والعثماني**، (القاهرة: دار الآفاق العربية، 1999م)، ص183-186.

(3) الأكرة: المراد بلعب الأكرة اللعبة المعروفة الآن باسم البولو (Polo)، التي تضرب بالجوكان أو الصولجان - وهي عصى مدهونة طولها نحو من أربعة أذرع وبرأسها خشبة مخروطة معقوفة تزيد عن نصف ذراع. انظر: حاشية محمد مصطفى زيادة، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، ج1، ق2، ص435، 444 هامش1؛ وحول هذه اللعبة بالتفصيل. انظر: نبيل محمد عبد العزيز، **الملاعيب في عصر سلاطين المماليك (القسم الأول الرياضات البدنية)**، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 2002م)، ص10 وما بعدها.

(4) علي بن أبي الكرم ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج12، نشر تورنبيرغ C. J. Tornberg ، (أوبسالا، السويد، 1853م)، ص91، 92؛ المقريزي، **الخطط**، مج3، ص546.

(5) العباسية أو العباسة: بليدة أول ما يلقى القاصد لمصر من الشام، وهي تقع بين بلبيس والصالحية، وسميت بذلك الاسم نسبة إلى عباسة بنت أحمد بن طولون التي خرجت لهذا الموضع مودعة لبنت أخيها قطر الندى بنت خمارويه، وقيل إلى العباس بن أحمد بن طولون، الذي ولد بهذا الموضع، وحُرّف اسمها إلى العباسية بعد ذلك، وكانت من متنزهات السلاطين. انظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مج4، (بيروت: دار صادر، 1977م)، ص75؛ المقريزي، **الخطط**، مج1، ص628، 629؛ محمد رمزي، **القاموس الجغرافي**، مج2، ق2، ج1، ص69، 70.

(6) محي الدين بن عبد الظاهر، **الروض الظاهر في سيرة الملك الظاهر**، تحقيق: عبد العزيز الخويطر، (الرياض: 1976م)، ص291.

(7) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج4، ص75؛ ابن عبد الظاهر، **الروض الظاهر**، ص291؛ نهلة مصطفى، **سرحات الصيد**، ص455.

وقد تلاشت أهمية العباسة نسبيًا، وخرب الكثير من عمارتها وبساتينها خلال عصر بني أيوب، بعد إنشاء السلطان الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد (637-647هـ/1240-1250م) منزلة الصالحية[1]، الذي بنى فيها قصورًا للصيد، وتعددت بها القصور والمناظر، والذي أعتاد الصالح التردد عليها للنزهة[2]. كما أنشأ الصالح المناظر التي تشرف على بساتين عديدة منها البساتين حول بركة الفيل، وبركة قارون، وكانت من أجلّ متنزهات مصر[3].

وكانت التجهيزات تُعد قبل خروج السلطان لرحلة الصيد ما بين تجهيزات مادية أو بشرية، فهناك أولًا تجهيز الدهليز وتعيين نائب للغيبة، واختيار السلطان لرفقائه في الصيد، والموظفين المختصين بإدارة رحلة الصيد، بالإضافة إلى العناية بآلات الصيد من خيل وسلاح وغيره[4]، وكانت رحلة الصيد غالبًا تتم في فصل الربيع؛ لاعتدال الجو، وتوفر المراعي اللازمة للخيل وللصيد، وإن كانت بعض المصادر تذكر خروج بعض السلاطين في فترة الشتاء، وهذه المرات قليلة وتخالف ما اعتاد السلاطين عليه وما تعارف عليه المتقدمون في هذه الهواية[5].

أولًا: الآثار السياسية وما يرتبط بها من أمور أمنية لرحلات صيد سلاطين المماليك البحرية:

1- متابعة أحوال الرعية بأنفسهم، دون وسيط، وتفقد مطالبهم، والتقرب منهم، والنظر في أعمال ولاتهم على القرى والمدن والاستماع للشكاوى ضدهم.

أثّرت رحلات الصيد إيجابيًا في نفسية السلاطين والأمراء في دولة المماليك، فأشعرتهم براحة جسدية وذهنية كبيرة، وفي هذا يذكر محمد ابن منكلي (ت: 784هـ) أن من فوائد الخروج للاصطياد عشرة منها: رياضة النفس، ومداوة ما بالسلطان من الهموم والغموم، ويزيل الفكر ويحد النظر، "ولم يخرج ملك قط لصيد إلا ورجع بفائدة إما جسمه فيروضّه، وإما أن يكون قد طويت عنه حالة مظلوم فيتمكن من السماع منه ورفع ظلامته، فيسلم من مأثمه"[6].

ومن النصائح التي كانت تُقدم للسلاطين والملوك عند الخروج إلى الصيد أنه:"حقيق بالعدل والكرم الاستعداد للصيد ظاهرًا ليعلم ذو الحاجة والمظلوم، فيلقى المَلِك بحاجته، وينهي إليه بظلامته، فيكون خروج المَلِك إلى الصيد مرجوًا مترقيًا محمودًا، أوان إنعام وكف ظلام، وكذلك عوده"[7]. وقد يُنصح السلاطين على عكس ذلك؛ ففي بعض الأحيان يطلب السلطان سرية الخروج إلى الصيد حتى يتمكن من الإحاطة بأحوال وأخبار مملكته وما بها من أعمال[8].

وبهذا فقد اتخذ سلاطين المماليك من رحلات صيدهم مجالاً مناسباً لتفقد شؤون رعاياهم، والاطلاع على أحوال مملكتهم، والأمثلة على ذلك كثيرة ومتنوعة:

ففي أثناء توجه السلطان الظاهر بيبرس (558-676ه/1260-1277م) إلى الصيد بالغربية في سنة 662ه/1264م، نزل بأوسيم[9]، وصار متخفيًا يستطلع أحوال الرعية، ويسأل عن والي الغربية وسيرة نوابه وغلمانه ومباشريه، فشكى إليه الناس من ظلم الوالي وسوء سيرته، فقرر القبض عليه وتأديبه، بعد

---

(1) الصالحية، نسبة إلى الصالح نجم الدين أيوب التي أنشأها في سنة 644ه بأرض السانح في أول الرمل بين مصر والشام، لتكون منزلة للعساكر عند ذهابهم إلى الشام وعند عودتهم منها. انظر: المقريزي، **السلوك**، ج1، ق2، ص330؛ محمد رمزي، **القاموس الجغرافي**، مج2، ق2، ج1، ص112، 113.

(2) محمد الشاعر، **الشرقية**، ص14، 15؛ نهلة مصطفى، **سرحات الصيد**، ص457.

(3) المقريزي، **الخطط**، ج3، ص444؛ نهلة مصطفى، **سرحات الصيد**، ص467.

(4) حول هذه التجهيزات انظر: نبيل عبد العزيز، **رياضة الصيد**، ص51 وما بعدها.

(5) حول ذلك انظر: نبيل عبد العزيز، **رياضة الصيد**، ص20-23؛ عبد العال الشامي، **السرحات السلطانية**، ص8.

(6) محمد بن منكلي، **أنس الملا بوحش الفلا**، نشر فلوريان فرعون Florian Pharaon، (باريس: 1880م)، ص18، 19.

(7) القاسم بن علي الزينبي، **كتاب القوانين السلطانية في الصيد**، مخطوط رقم 3508، (مكتبة فاتح: تركيا)، ورقة رقم 49. 49.

(8) نبيل عبد العزيز، **رياضة الصيد**، ص15

(9) أوسيم أو وَسِيمُ: كورة بمصر في الضفة الغربية من النيل من أعمال الجيزة، وحاليًا هي مركز إمبابة. انظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج5، ص377؛ محمد رمزي، **القاموس الجغرافي**، مج4، ق2، ج3، ص57، 58.

أن عزله من منصبه، وعندما شكى إليه الناس من عسف وجور بعض مباشريه النصارى أثناء تعاملهم معهم، أمر بشنقه[1].

وفي العام نفسه ذهب الظاهر بيبرس إلى الصيد ناحية الإسكندرية، وهناك بلغه أن بعض العربان قد عصوا وتسلّلوا إلى البراري هرباً منه، فجرد إليهم جماعة من الجند، ثم قابل وفود من عرب هوارة وعرب سليم، فألزمهم بعمارة البلاد، وحذرهم من أن يُقرّبوا إليهم أحداً من العربان العصاة[2].

وفي السياق ذاته، نجد الظاهر بيبرس عند خروجه إلى الصيد جهة البحيرة في سنة 673ه/1275م، وكان في صحبته ولده الملك السعيد بركة خان (676-678هـ/1277-1279م)، دخل إلى الإسكندرية لاستطلاع شؤونها، فوصلت إليه شكايات العامة والتجار من واليها شمس الدين بن باخل[3]، فأمر بضربه، وتغريمه خمسين ألف دينار، وأمر العامة بهدم بستانًا كبيرًا كان يملكه، وأقره على الولاية فقط دون التعرض إلى أمر الخمس والديوان التي أسندها إلى الطواشي بهاء الدين صدنك مشدّ دار الطرز[4].

وهنا يتضح كيف كان يستغل الظاهر بيبرس خروجه إلى الصيد ليتفحص شؤون المملكة في الأماكن التي يمر عليها أو كانت قريبة من مكان تصيده، ولا ريب أنه بهذه السياسة جعل خروجه للصيد مثار ترقب وحذر من الولاة والعمال، إذ إنها كانت بمثابة رحلات تفتيش على الأعباء الإدارية التي كُلفوا بتنفيذها من قبل السلطة.

ويظهر أيضاً أن الأمر لا يقتصر على رغبة بيبرس في الاطمئنان على تسيير الأمور الإدارية ومتابعة عماله وولاته في تنفيذ مهامهم، والحد من الفساد والظلم الواقع على الرعية، بل كذلك كان يُرسي سياسة هامة، وهي تثبيت سلطة الدولة وإظهار هيبتها في جميع أرجاء المملكة، وتأديب العصاة وتحييد التكتلات الداخلية وتحذيرها من ممالاءة العصاة أو التقارب منهم، وهذا ما وضح في رحلة تصيده الأخيرة بالقرب من الإسكندرية، والتي كان يصاحبه فيها ولده الملك السيعد، والذي لا شك أنه كان في مخيلة والده عند تطبيقه لمثل هذه السياسة.

ونجد أيضاً في رحلات تصيد المنصور قلاوون (678-689ه/1279-1290م) من الأمثلة ما يوضح أثر رحلات الصيد في تطبيق جوانب هامة من السياسة الداخلية للدولة المملوكية، فعندما خرج في شهر رجب سنة 682ه/1382م إلى جهة المرْج[5] للصيد، أخذ يبذل من الأموال والخُلع الشيء الكثير، فشملت هباته ومعروفه الجميع، حتى إنه لم يبق أحد لم يصله من هذا الإنعام وهذا البر نصيب، على حد قول ابن عبدالظاهر، واستمر على هذه السياسة السخية في الإنفاق خلال رحلاته إلى الصيد في مختلف الجهات[6]. وبهذا نظن أن المنصور قلاوون قد كان يتخذ من رحلات صيده مناسبة لتوزيع الإنعامات والأموال على عموم رعيته، ولا ريب أن في هذا تدعيماً لسياسة الدولة في استتباب الأمن الداخلي لمختلف أقاليم الدولة المملوكية.

---

(1) أحمد بن عبد الوهاب النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ج30، تحقيق: محمد عبد الهادي شعيرة، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م)، ص94؛ المقريزي، **السلوك**، ج1، ق2، ص505.

(2) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**، ص218؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج30، ص106، 107.

(3) الأمير شمس الدين محمد بن باخل الهكاري متولي ثغر الإسكندرية، وتوفي بها سنة 683ه. انظر: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، مج15، تحقيق بشار عواد معروف، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2003م)، ص505؛ خليل بن أيبك الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج2، باعتناء س. ديدرينغ، فرانز شتايز شتوتغارت، (بيروت: المعهد الألماني، 1991م)، ص242، 243.

(4) محمد بن علي بن شداد، **تاريخ الملك الظاهر**، باعتناء أحمد حطيط، (القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2009م)، ص105.

(5) المرج: هي الأرض الواسعة فيها نبت كثير تمرج فيها الدواب أي تذهب وتجيء، وتوجد في مواضع كثيرة، وحول دمشق يوجد: مرج راهط، ومرج الصفر، ومرج عذراء. انظر: ياقوت، **معجم البلدان**، ج5، ص100-101.

(6) محي الدين بن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور**، تحقيق: مراد كامل، (القاهرة: الشركة العربية للطباعة والنشر، 1961م)، ص26.

أما السلطان الناصر محمد بن قلاوون[1]، فقد اعتاد أن يستغل خروجه المتكرر للصيد في الاستماع إلى شكاوى الفلاحين، والاطمئنان عن أحوال الإقطاعات والقرى الزراعية، وحصر الأماكن التي تحتاج إلى إصلاحات زراعية، كما كان يتفقّد بنفسه الجسور والترع والقناطر، وأن يأمر بعمل ما تحتاج إليه من إصلاحات[2].

وظهر ذلك عندما ارتحل الناصر محمد إلى الصعيد في سنة 708ه/1308م، ففي أثناء هذه الرحلة كان يتحين الظروف المناسبة ليتصيّد، "فبينما هو سائر خرج إليه عشرة من الفلاحين يتقدمهم شيخ كبير من قرية خراب [أي قرية خربة]، واشتكوا من جور وظلم الأمير سلّار[3]، الذي عمر قرية بجانب قريتهم ... وأعفى فلاحي قريته ومن سيأتي إليه من القرى المجاورة من ضريبة الخراج، فهرب جميع الفلاحين إليه، وخربت أملاكهم، وبقي الخراج على هذه القرية، وأخبروا السلطان أنهم كانوا يستنظروا هذا اليوم، إما ليكشف عنهم الظلم، أو يلجؤوا لقرية سلار مثل باقي الفلاحين، فطيب السلطان خاطرهم"[4].

ويغلب على الظن أن الناصر محمد كان يعقد عقب عودته من رحلات صيده الطويلة، مثل رحلاته الصعيد مثلاً، مجلساً عاماً للعدل يرى فيه شكاوى الناس ويرفع مظالمهم بعد أن طالع وسمع الكثير من الشكاوى والمظالم أثناء هذه الرحلة، والتي مرّ فيها على بلدات وقرى وفلاحين ربما لم يكن ليراها إلا في مثل تلك المناسبات، وهذا ما قد حدث عقب عودته من رحلة صيده إلى الصعيد في سنة 711ه/1311م، فقد "جلس للعدل ورفع المظالم والإحسان إلى العالم"[5].

وراحة السلطان النفسية أثناء رحلات الصيد كانت تنعكس على إصدار قررات بالعفو عن بعض الأمراء المعتقلين في السجون المملوكية، ففي أثناء توجه الناصر محمد إلى صيد الوبر[6] بناحية الإسكندرية الإسكندرية في رجب من سنة 735هـ، أرسل يستكشف أحوال بعض الأمراء المعتقلين بالإسكندرية، وعندما وجدهم في حالة سيئة، أمر بالإفراج عنهم[7].

2- تنظيم شؤون الدولة وإجراء تعديلات إدارية.

انعكس أثر الراحة النفسية لسلاطين دولة المماليك البحرية في أثناء رحلات الصيد على إدارة شؤون الدولة، فقد كانت فرصة لإحداث تغييرات إدارية، وتنظيم بعض الأمور الداخلية، واستقبال الوفود.

---

(1) حكم السلطان الناصر محمد بن قلاوون ثلاث فترات وهي على التوالي: (693ه-694ه/1293-1294م) - (698-708ه/1298-1308م) - (709-741ه/1309-1341م).

(2) المقريزي، **السلوك**، ج2، ق2، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، ص541؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، (القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة)، ج9، 2008م ، ص192؛ نبيل عبد العزيز، **رياضة الصيد**، ص16، 17.

(3) الأمير سيف الدين سلار بن عبد الله التتري المنصوري، نائب السلطنة بمصر للسلطان الناصر محمد بن قلاوون، واستمر فيها في عهد السلطان بيبرس الجاشنكير، ولما عاد الناصر قلاوون للحكم مرة ثانية قبض عليه، وقتله داخل السجن، وقيل منع عنه الزاد حتى مات، وقيل عفا عنه فسقط من الفرح ومات، وذلك في جماد الأول سنة 710ه. انظر: ابن شاكر الكتبي، **فوات الوفيات والذيل عليها**، مج2، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1973م، ص86-89، ترجمة رقم186؛ الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب، **درة الأسلاك في دولة الأتراك**، ج2، تحقيق: محمد محمد أمين، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2014م، ص336، ترجمة رقم525؛ ابن تغري بردي، **الدليل الشافي على المنهل الصافي**، ج1، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1979م، ص314، 315، ترجمة رقم1070.

(4) أورد هذه الرواية بدر الدين العيني في أحداث سنة 708هـ، مخطوط **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، انظر: حاشية رقم (40) نبيل عبد العزيز، رياضة الصيد، ص17.

(5) بدر الدين العيني في أحداث سنة 711هـ، **مخطوط عقد الجمان**، انظر: حاشية رقم (96) نبيل عبد العزيز، رياضة الصيد، ص 141.

(6) الوبر: حيوان من ذوات الحوافر في حجم الأرنب، أطحل اللون، أي بين الغبرة والسواد، قصير الذنب، يحرك فكه السفلي كأنه يجتر. انظر: **المعجم الوسيط**، ط4، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، 2004م، مادة وبر، ص1008.

(7) ابن أيبك الدواداري، **كنز الدرر وجامع الغرر (الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر)**، ج9، تحقيق: هانس روبرت رويمر، القاهرة، 1960م، ص393.

فمن أمثلة التغييرات الإدارية ما قام به السلطان الأشرف خليل بن قلاوون (678-693ه/1290-1293م) بعد عودته من سرحته للصيد أثناء توجهه إلى حمص في سنة 692ه، ففي هذه الرحلة تمكن من اصطياد الكثير من الغزال وحمار الوحش، كما أفاض من الهبات والخلع والصلات، "ووهب الصافنات[1]، وتفرج أنواع الفرج واللذات، وتنزّه في تلك الجهات ملتذاً برونق ملكه، وانسلاك الخلائق في سلكه، قام بترتيب أحوال تلك الأقطار، ثم رجع إلى جهة مصر"[2]. ويظهر هنا مدى الهدوء والراحلة والسعادة النفسية التي كان فيها الأشرف خليل بن قلاوون.

وكان الناصر محمد بن قلاوون أيضاً ممن يتخذ من رحلات صيده مناسبة هادئة للاستجمام والتفكير في إدارة الحكم وشؤونه، ففي شهر محرم من سنة 701هـ خرج من القلعة إلى بركة الحُجاج متصيدًا، وأرسل في قدوم الأئمة القضاة الأربعة إلى البركة، ليستشرهم في فيمن يسيره رسولًا إلى غازان خان (694-703ه/1294-1304م) صحبة رسله، والذي كان قد استقبلهم واستضافهم في موكب صيده، فوقع الاختيار على الأمير حسام الدين أزدمر المجيري، والقاضي عماد الدين بن السكري[3].

والأمر ذاته حدث عندما خرج الناصر محمد إلى البحيرة للصيد في سنة 703ه، حيث نزل بتَرُوجَةُ[4]، واستدعى وكيله على جباية أموال أملاكه القاضي شهاب الدين أحمد بن عبادة، وطلب منه دراهم يشتري بها هدية من الإسكندرية لجواريه ونسائه، فلم يجد عنده من مال السلطان ما يكفيه، فبعثه ليقترض من تجّار الإسكندرية مبلغًا، فاجتمع ابن عبادة بالوزير ابن الشيخي[5] بالإسكندرية، واشتكا له ما فيه السلطان من الضيق والحاجة للمال، فطلب ابن الشيخي من القاضي العودة، وقدم في اليوم التالي بالمبلغ وقدمه للسلطان، الذي شكا إليه ما هو فيه من الضيق مع الأمراء، "فوعده ابن الشيخي بأن مصير الأمر إليه، وقوّى قلبه وشجعه على الفتك بالأمراء، وهون عليه أمرهم"[6]،

وأحياناً نجد السلطان يبت في الأمور الهامة التي تستوجب مرسوماً أثناء رحلة صيده، ففي أثناء خروج الناصر محمد للصيد ناحية الجيزة في سنة 724هـ، جاءه خبر وفاة زوجته الخوند أردكين، وأن أخيها الأمير جمال الدين خضر بن نوكية، أخذ في جمع تركتها وما خلفته من أموال، فأرسل الناصر مرسوماً بمنع الأمير جمال الدين من التعرض إلى التركة والإنكار عليه، والاحتراز على الموجود وضبطه، وإقرار ما كان باسمها من المرتب على جواريها، وخدمها إلى أن يعود للقلعة[7] .

ومن مظاهر إدارة أمور الحكم أثناء رحلات الصيد للسلاطين، استقبال الناصر محمد للأمير دمرداش بن جوبان[8]، الذي قدم إلى القاهرة في 7 ربيع الأول سنة 728ه، ثائراً على الملك أبوسعيد بن خربندا

---

(1) الصافنات وصُفُونًا ومفردها صَفَنَ: الخيل الجيدة التي تقوم على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة. انظر: **المعجم الوسيط**، مادة صفن، ص517.

(2) بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية في الدولة التركية**، نشره عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1987م، ص133.

(3) ابن أيبك، **كنز الدرر**، ج9، ص65.

(4) تَرُوجَةُ، قرية بكورة البحيرة من أعمال الإسكندرية، أكثر ما يزرع بها الكمون، وقيل اسمها تُرُنجة، وكانت موجودة لغاية القرن التاسع الهجري ثم اندثرت، ومكانها اليوم كوم تروجة بأراضي ناحية صقر بمركز أبو المطامير بمديرية البحيرة. انظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مج2، ص27، 28؛ يحيى بن المقر بن الجيعان، **التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية**، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1974م، ص124؛ محمد رمزي، **القاموس الجغرافي**، مج1، ق1، ص190؛ وتعليقاته على كتاب النجوم الزاهرة، ج4، ص30، حاشية3.

(5) ناصر الدين محمد بن الشيخي، كان متولي شؤون الجيزة ثم عين وزيرًا على مصر في سنة 703ه/ 1304م. انظر: المقريزي، **السلوك**، ج1، ق3، ص952، 954.

(6) المقريزي، **السلوك**، ج1، ق3، ص955.

(7) النويري، **نهاية الأرب**، ج33، ط3، تحقيق: مصطفى حجازي، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2008م، ص69.

(8) دمرداش بن جوبان: أحد قادة بو سعيد بن خربندا ملك التتار ونائبه على بلاد الروم، وتوفي في سنة 728هـ. انظر: أحمد أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، تحقيق: محمد عبدالمعيد ضان (حيدر آباد، ، مجلس دائرة المعارف الثعمانية، 1392هـ/1972م)، ج2، ص228.

ملك التتار[1]، فقابله الأمير طايربغا[2] وأحضره إلى السلطان بالجيزة، فقبّل الأرض ثلاث مرات، ورحّب ورحّب السلطان به وأجلسه بالقرب منه، وباسطه وطيب خاطره، وسأله عن أحواله، وألبسه تشريفًا عظيمًا، وركب معه للصيد، وعدى به النيل إلى القلعة، وأسكنه بها، ورتب له جميع ما يحتاج إليه[3].

وفي الإطار ذاته، عندما خرج المنصور محمد بن حاجي بن محمد قلاوون (762-764ه/1361-1363م) والأمير يلبغا الأتابك[4] إلى الصيد بالجيزة في صفر سنة 763ه، استدعى جماعة من الفقهاء إلى إلى مخيم الأمير يلبغا، ورتب عدد منهم في وظائفهم، ثم عرضهم على السلطان، وعدوا النيل إلى القاهرة، ثم عاد السلطان إلى قلعة الجبل[5].

كما أنه وفي المحرم من سنة 764ه عدى المنصور محمد بن حاجي والأمير يلبغا الأتابك النيل إلى بر الجيزة، وخيم قريبًا من الأهرام، فقدم إليه قاضي القضاة بهاء الدين أحمد بن السبكي[6] على البريد من دمشق، واجتمع بالسلطان والأمير يلبغا ثم عاد إلى القاهرة[7].

وبعد عودة السلطان من سرحته بالجيزة يوم الاثنين 22 ربيع الأول سنة 764ه، خلع على تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي[8] وأُعيد إلى قضاء دمشق، وخلع على أخيه بهاء الدين وأعيد إلى إفتاء إفتاء دار العدل وبقية وظائفه. كما خلع على الأمير آقتمر عبد الغني[9] واستقر حاجب الحجاب، عوضًا عن أسنبغا بن البوبكري[10].

---

[1] بوسعيد بن خربندا بن أرغون بن أبغا بن هولاكو ملك التتار، صاحب العراق والجزيرة وخراسان والروم، كان يعتنق الدين الإسلامي واستمر في ملكه عشرن سنة ثم مات في عاصمة التتار (الأردو) في سنة 737هـ. ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج2، ص39.

[2] ذكره العسقلاني باسم ظهربغا المغلي والصفدي طايربغا نسيب السلطان الناصر محمد، وقد قدمه السلطان، فكان يقرأ عليه عليه كتب بوسعيد التي ترد بالمغلي، وتوفي سنة 738ه/1337م. انظر: الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج9، ص440؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، ج2، ص391.

[3] المقريزي، **السلوك**، ج2، ق1، تحقيق محمد مصطفى زيادة، ص294.

[4] الأمير الكبير سيف الدين يلبغا بن عبدالله الخاصكي الناصري، أحد مماليك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، وبلغ في دولته مكانة عظيمة، وبلغه أن الناصر حسن يدبر لقتله فعاجله بجنوده وهزمه وخلعه في سنة 762هـ، وولى بعده المنصور محمد بن المظفر حاجي وصار أتابكه، إلى أن عزله في 764هـ وعين بدلاً منه الأشرف شعبان وأصبح هو الحاكم الفعلي حتى قتل في سنة 768هـ. انظر: ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج6، ص208.

[5] المقريزي، **السلوك**، ج3، ق1، ص73، 74.

[6] قاضي القضاة بهاء الدين أحمد بن علي السبكي الشافعي، عندما توجه والده إلى الشام ولاه السلطان مناصب والده في التدريس ومشيخة الحديث. كما تولى قضاء العسكر، وإفتاء دار العدل، ودرس الشافعية، وقضاء دمشق، وتوفي بمكة في شهر رجب سنة 773ه/1371م. انظر: الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج7، ص246-252، ترجمة رقم3212؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**، ج1، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984م، ص408-414، ترجمة رقم219؛ ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر بأنباء العمر**، ج1، تحقيق حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، 2014م، ص21-23.

[7] المقريزي، **السلوك**، ج3، ق1، ص81.

[8] قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي الشافعي، ولى قضاء دمشق أربع مرات، وتولى الخطابة بدمشق، وله عدة مصنفات منها: كتاب طبقات الشافعية، وكتاب الأشباه والنظائر وغيرها، وتوفي بدمشق في شهر ذي الحجة سنة 771ه/1369م. انظر: الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج19، ص315، 316، ترجمة رقم295؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، ج7، ص385، 386، ترجمة رقم1501.

[9] الأمير سيف الدين آقتمر بن عبد الله الأتابكي، المعروف بآقتمر عبد الغني. تقلب في الوظائف، وولي عدة أعمال منها: نيابة طرابلس، ونيابة دمشق، ونيابة السلطنة بمصر، وأتابك العسكر ... وغيرها، وتوفي في شهر حمادي الآخرة سنة 783ه/1381م. انظر: ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، ج2، ص493، ترجمة رقم498؛ ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، ج1، ص245.

[10] المقريزي، **السلوك**، ج3، ق1، ص81.

وفي جمادى الآخر سنة 766هـ، ركب قاضي القضاة العز بن جماعة[1] إلى ساحل النيل، وجاز إلى إلى بر الجيزة للقاء يلبغا الأتابك الذي كان يتصيد مع السلطان الأشرف شعبان بن حسن بن محمدبن قلاوون (764-778هـ/1363-1376هـ) على العادة، فاجتمع العز بيلبغا وعزل نفسه عن القضاء، وبعد عودة يلبغا إلى القلعة حاول أن يمنع العز من العزل، لكنه فشل ورشّح له العز بدلاً منه بهاء الدين أبو البقاء السبكي[2].

بعد ذكر هذه الأمثلة التي أردنا من خلالها معرفة الأوامر الإدارية التي كان يتخذها السلاطين المماليك أثناء رحلات صيدهم، يتضح أن هذه الأوامر غالباً ما كانت تختص بالإجراءات الإدارية العاجلة، أو المستجدات من الأحداث، وكان هذا يتم في أثناء رحلة الصيد ذاتها، فتؤخذ الأوامر ويجري تنفيذها، ثم يتابع السلطان تنفيذها عقب عودته من رحلة الصيد إلى مقر الحكم. وكان السلاطين على استعداد دائم، أثناء رحلات صيدهم، لاستقبال المختصين بهذه الأمور، سواء من رجال الدولة وأمرائها، أو من الرسل والسفراء القادمين من الدول الأخرى لمقابلة السلطان. كما رأينا السلطان يقوم باستدعاء مستشاريه من مقر الحكم في قلعة الجبل إلى المنطقة التي يصطاد بها، إذا لزم الأمر، لمشورتهم قبل اتخاذ إجراء معين. وهذا يدل على أن رحلات الصيد تلك لم تمثل عائقًا أمام تسيير أمور الحكم في الدولة، على الرغم مما كان يُكرس لها من إمكانيات مالية وإدارية حتى تتم على أحسن وجه، بل ربما كانت بيئة مناسبة لاتخاذ قرارات صائبة خالية من ضغط البيئة الصاخبة للحكم بالقلعة.

3- كان من آثار الصيد التقريب بين السلاطين وأمراءهم:

كان الصيد فرصة كبيرة للتقريب بين السلطان وأمرائه وكبار رجال دولته؛ ليكسب ولاءهم بما يقدمه لهم من انعامات وهبات وعطايا أثناء رحلة صيده، وأيضاً ما كان يعطيه لهم مما يصطاده من حيوانات وطيور وغيرها، فكان لهذا قيمة كبيرة لدى الأمراء. والأمر ذاته بالنسبة للأمراء فكانوا يتخذون من الصيد فرصة مناسبة للتقرب إلى السلطان بالهدايا الخاصة بالصيد وسرحاته، وأيضاً بما يظهروا من مهارات أثناء الصيد كنوع من أنواع التقرب إلى السلطان. ولا ريب أن هذا جميعه يؤثر في الجوانب الأمنية والسياسية للدولة المملوكية.

والواقع أن رحلة الصيد مثّلت بيئة جيدة للتقارب بين رجال الدولة في العصر المملوكي بما فيهم السلطان، إذ كانت مجالاً لبناء علاقات من الثقة يغلب عليها التريض والمرح والراحة النفسية بعيداً عن العلاقات الرسمية التي تكتسي بها وظائفهم وأعمالهم في القلعة. والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

حينما اصطاد السلطان الظاهر بيبرس في الطَرّانَة[3] صيودًا كثيرة في سنة 662ه/1263م بعث قسمًا منها إلى نائبه بقلعة الجبل الأمير عز الدين أيدمر الحلى[4]، بل أرسل إليه رسالة عرّفه فيها بذلك،

---

(1) قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، ولي قضاء مصر، وجعل له الناصر تعيين قضاة الشام ولم يزل على ذلك، وتقلب في القضاء حتى عزل نفسه نهائيًا سنة 766ه، وتفرغ لتدريس الفقه والحديث بجامع ابن طولون، وتوفي بمكة سنة 767ه. انظر: شمس الدين الحسيني، **ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي**، تصحيح محمد زاهد الكوثري، دمشق، 1928م، ص41-43؛ ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، ج2، ص176-179.

(2) بهاء الدين أبو البقاء: محمد بن عبدالبر بن يحيى السبكي، ولد 707هـ وتولى قضاء الشام سنة 759هـ، وناب فترة عن القاضي عز الدين بن جماعة، وأضيف إليه قضاء العسكر والنظر في الأوقاف ونيابة الحكم في سنة 765، ثم ولي القضاء استقلالاً في سنة 766هـ. انظر: ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج5، ص237-238؛ عبد الباسط بن خليل ابن شاهين الظاهري، **نيل الأمل في ذيل الدول**، ق2، ج1، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (المكتبة العصرية، بيروت، 2002م)، ق1، ج1، ص365،367.

(3) الطَّرَّانَة: هي بلدة مصرية قديمة، وهي الآن قرية زراعية صغيرة واقعة على الشاطئ الغربي لفرع النيل (فرع رشيد) ضمن قرى مركز حمادة بمديرية البحيرة. انظر: محمد رمزي، **القاموس الجغرافي**، مج3، ق2، ج2، ص331، 332؛ وتعليقاته على كتاب النجوم الزاهرة، ج8، ص16، حاشية1؛ ج11، ص29، حاشية3.

(4) أيدَمُر، الأمير عز الدين الحلي الصالحي، من أكبر أمراء الدولة عند السلطان الظاهر بيبرس، وتولي له نيابة السلطنة عند غيابه لوثوقه به، توفي بدمشق سنة 667ه/1268م، وترك من الأموال والخيول والبغال وغيرها الكثير. انظر: الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج6، ص5، ترجمة رقم4457؛ بدر الدين محمود العيني، **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**

أسمتها المصادر "رسالة صيديّة"، وهي عبارة عن رسالة وصَفَ فيها الظاهر بيبرس رحلة صيده تلك، وحوت على كثير من التفاصيل التي تعكس ما مثّلته رحلة الصيد في العصر المملوكي من أهمية في كشف العلاقات بين رجال الدولة وبعضهم البعض، وما يكنّه الظاهر بيبرس من تقدير لنائبه على القلعة، وإشادته بالجنود المصاحبين له أثناء الصيد، فقال:

"هذه المكاتبة إلى المجلس لا توارت شموس أنسه، ولا أذبلت ثمار غرسه ... تتضمّن إعلامه بأنّا خرجنا إلى الصيد المبارك بجنود تملأ السهل والجبل، وتستحيى الشمس منها فتستتر فى سحابها من كثرة الخجل؛ تسير على الأرض منها جبال، وتأوى الرمال منها الى أورف ظلال؛ وتوجّهنا إلى جهة الطّرّانة وإذا بحشود الوحوش قد توافدت، وعلى مناهل المناهج قد تواردت؛ والأجل يسوقهم، والبيد تعقّهم، والمنايا تعوقهم؛ ولم تزل أيدى الخيل تجمعهم فى صعيد، وتطوى بهم سطوراً فى طروس البيد؛ حتى أحاطت بهم إحاطة الفلك بالنجوم الزواهر، والأجفان بالعيون النواظر؛ وجرّدت السيوف فظنّتها غدرا، ورميت النبال فحسبتها شررا ... وما نشتمل عليه من محبّة المجلس وإيثاره، ونجده من الوحشة له مع دنوّ داره؛ وسروره بما عساه لنا يتجدّد، وحبوره بما يرد من جهتنا وهذا لا نشكّ فيه ولا نتردّد؛ أوجب أن نخصّه به ونتحفه، ونصفه له على جليّته إذ كنّا بالتخصيص به لن ننصفه؛ وقد بعثنا إليه منه قسما، ولم تنس عند ذكرنا أنفسنا له اسما"[1].

وكان الظاهر بيبرس يكافيء الأمراء أثناء صيده، فعندما خرج وفي صحبته ولده الملك السعيد والأمراء للتصيد بالإسكندرية في 13 صفر سنة 668ه/1269م، "دخل البرية وضرب حلقة الصيود، فكان يعطي من يضرب بقرًا أو نعامًا فرسًا، ومن يحضر غزالًا يعطيه خلعة؛ فخلع على الأمراء وفرق عليهم الخيل والحوائص الذهب[2] والسيوف المحلاة، والذهب والدراهم والقماش وغير ذلك، ثم عاد إلى القاهر يوم الثلاثاء ثامن شهر ربيع الأول"[3].

ونجد الأمر نفسه عند السلطان الأشرف خليل بن قلاوون، فقد خلع أثناء سرحتة في تَرُوجَة التي كانت في المحرم من سنة 693ه على الوزير ابن السلعوس[4] قبل رحيله إلى الإسكندرية، بـ"طَرْد وَحْش"[5].

وتتضح الهدايا والخلع في رحلات الصيد خلال عهد الناصر محمد بن قلاوون، فعقب رحلته للصيد بالصالحية يوم الاثنين 28 محرم سنة 701هـ، أنعم بالهدايا والخلع على سائر أمراءه بالدهليز المنصور[6]. وكان من هدايا الملك الناصر للأمير سيف الدين بكتمر الساقي[1] فرس، وطائر جارح[2].

(عصر سلاطين المماليك)، ، تحقيق: محمد محمد أمين، (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، 2010م)، ج، 2ص56؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج7، ص227، 228.

[1] النويري، **نهاية الأرب**، ج8، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1931م، ص105، 106؛ المقريزي، **السلوك**، ج1، ق2، ص520؛ نبيل عبد العزيز، **رياضة الصيد**، ص130، 131.

[2] الحوائص: جمع حياصه وهى حزام، وكان يسمى منطقة ثم أطلق عليه اسم حياصة، وكانت تصنع من معدن ثمين كالفضة، وأثمنها ما كان يصنع من الذهب، وقد تحلى بالجواهر. انظر: إبراهيم ماضي، **زي الأمراء المماليك في مصر والشام**، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2009م)، ص 162-163

[3] بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، ص8؛ إسماعيل بن عمر بن كثير، **البداية والنهاية**، ، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (القاهرة: دار هجر، 1998م)، ج17، ص486؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج7، ص147.

[4] الأمير شمس الدين محمد بن عثمان التنوخي، الشهير بابن السلعوس، وزير السلطان الأشرف خليل بن قلاوون ونديمه، وتوفي على أثر الضرب الشديد والتعذيب سنة 693ه/1294م. انظر: الصقاعي، **تالي كتاب وفيات الأعيان**، ص152-154، ترجمة رقم248؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج4، ص86-88، ترجمة رقم1555؛ ابن حبيب، **درة الأسلاك**، ج2، ص94، 95، ترجمة رقم362؛ المقريزي، **المقفى الكبير**، ج6، ص204-210، ترجمة رقم2660؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، ج10، ص181-184، ترجمة رقم2251.

[5] المقريزي، **السلوك**، ج1، ق3، ص788. طرد وحش: كان اسمًا لنوع من ثياب الحرير، مرسوم عليه مراسم من الصيد، انظر: دوزي، **تكملة المعاجم**، ص35، 36؛ ماير، **الملابس**، ص106.

[6] ابن أيبك، **كنز الدرر**، ج9، ص66؛ الدهليز: الخيمة التي ترافق السلطان وينزل بها في الأوقات التي تتخلل المعركة، وقد اقتبس العرب الكثير من المفردات التي تحمل في دلالتها معنى الخيمة وقاموا بتعريبها، ومنها: الخركاه، والوطاق، والدهليز، والدركاه وغيرها. وحول هذه الدلالات. انظر: البدراوي زهران، **في علم اللغة التاريخي "دراسة تطبيقية على عربية العصور الوسطى"**، (القاهرة: دار المعارف، 1999م)، ص237-240.

ولما سافر الناصر إلى الصعيد للصيد على عادته في سنة 739ه، كان بصحبته الأمير سيف الدين تنكز[3]، فأكرمه الناصر إكرامًا كبيرًا في هذه السفرة، "وكان من إكرامه ما لا عُهد من ملك مثله"، حيث جاء له ومعه خمس من خاصكيته، يحمل كل منهم طير من الجوارح لخدمته؛ فأصبح الناصر أمير شكار له[4]، والخاصكية[5] بزداريته[6]، وبعد عودتهم أمر الناصر النَّشْو[7] بتجهيز كلفة عقد ابني تنكز على ابنتيه، وكلفة سفره إلى الشام[8].

ويُلاحظ أن السلطان المملوكي، في بعض الأحيان، كان يأمر بالإفراج عن بعض المسجونين أثناء توجهه للصيد، وحدث مثل هذا عندما خرج الناصر محمد إلى البحيرة للصيد في سنة 725ه، حيث أرسل إلى الإسكندرية للإفراج عن بعض الأمراء المسجونين هناك[9] ، والأمر نفسه حدث عندما توجّه السلطان للصيد نحو الجيزة في السنة نفسها[10] .

كما كان يُنعم السلاطين على الأمراء أثناء خروجهم للسرحات ورحلات الصيد بكثير من الإنعامات، فعندما خرج الأمير الكبير طاز الناصري[11] لسرحة البحيرة في سنة 750ه، أنعم عليه السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون (748-752هـ/1347-1351م) من مال الإسكندرية بألفي

---

[1] الأمير سيف الدين بكتمر الساقي المظفري، أحد مماليك المظفر بيبرس، ثم أختصه الناصر محمد لنفسه وبلغ منه مكانة كبيرة لم يصل إليها أحد من قبله، وقتل مسمومًا في سنة 733ه. انظر: الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج10، ص122؛ ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج2، ص21؛ أحمد بن علي المقريزي، **المقفى الكبير**، تحقيق: محمد اليعلاوي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1991م)، ج2، ص468.

[2] ابن أيبك، **كنز الدرر**، ج9، ص395.

[3] الأمير سيف الدين تنكز الحسامي نائب الشام، كان من مماليك حسام الدين لاجين ثم انتقل إلى الناصر محمد الذي عينه نائباً على الشام في ولايته الثالثة في سنة 712هـ، وكان في مكانة عظيمة عند السلطان إلى أن تغير عليه واعتقله وقتله في سنة 741هـ. انظر: ابن حجر، **الدرر الكامنة**، 21/2.

[4] أمير شكار: اسم مركب من لفظين أحدهما عربي وهو أمير، والثاني فارسي وهو شكار ومعناه الصيد؛ فيكون المعنى "أمير الصيد"، وهو موظف يقوم برعاية الجوارح السلطانية من الطيور. انظر: القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، ص22، ج5، ص461؛ سعيد عاشور، **العصر المماليكي في مصر والشام**،(القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1994م)، ص400؛ نبيل عبد العزيز، **رحلات الصيد**، ص51.

[5] الخاصكية: هم مجموعة من حاشية السلطان يأتون في ترتيب البروتوكوول المملوكي بعد الأمراء المقدمين. انظر: عاشور، **العصر المماليكي في مصر والشام**، ص433؛ و"كان عددهم في عهد الناصر محمد بن قلاوون أربعين نفراً يلازمون الخدمة الشريفة، ودخولهم بغير إذن وهم من خواص السلطان يُعيّنون في المهمات الشريفة وفي سوق المحمل... ولهم شأن وأبهة". انظر: خليل بن شاهين الظاهري، **زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك**، مخطوط رقم 2990 مكتبة أحمد الثالث، استانبول، ورقة رقم 150.

[6] البازدار: هو الذي يحمل الطيور الجوارح المعدة للصيد على يده، وخص بإضافته إلى الباز الذي هو أحد أنواع الجوارح دون غيره لأنه هو المتعارف عليه بين الملوك في الزمن القديم، وكان يعاونه جملة من الصبيان يحملون الطير على أيديهم. انظر: القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج5، ص469؛ ابن إياس، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، اعتناء محمد مصطفى وآخرون، (إستانبول: مطبعة الدولة، 1931م)، ج4، ص50؛ نبيل عبد العزيز، **رحلات الصيد**، ص53.

[7] النَّشْو: عبدالوهاب بن فضل الله، شرف الدين النشو، كان نصرانياً ثم أسلم وترقى في الوظائف إلى أن تولى نظارة الديوان الخاص عند الناصر محمد، وبلغ مكانة عظيمة عنده وتوفي في سنة 740هـ. ابن حجر، **الدرر الكامنة**، 237/3

[8] ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج9، ص129؛ أحمد بن قاضي شهبة، **تاريخ بن قاضي شهبة**، تحقيق: عدنان درويش، (بيروت: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، قبرص: الجفان والجابي للطباعة والنشر)، مج2، ج1، 1994م، ص153،154.

[9] النويري، **نهاية الأرب**، ج33، ص188، 189؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، ق1، ص264، 265، ص269.

[10] المقريزي، **السلوك**، ج2، ق1، ص269.

[11] الأمير سيف الدين طاز بن عبد الله الناصري، أحد أعيان الأمراء بمصر، وأصله من مماليك السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وتولى نيابة حلب برسم من السلطان حسن، فعصى السلطان بها، فتم القبض عليه أثناء توجه إلى القاهرة، فحبس بالكرك، ثم أطلق سراحه منها، ليتوفى بعدها سنة 763ه. انظر: الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج16، ص383، 384، ترجمة رقم418؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، ج6، ص362-365، ترجمة رقم 1228.

دينـار، وعلـى الأمير صـرغتمش[1] بـألف دينـار، وعلـى النائـب بيبغـاروس[2] بـثلاث آلاف دينـار، وعلـى الأمير الكبير شيخو[3] بثلاثة آلاف أيضًا[4].

وأنعم الناصر حسن على الأمير طاز عندما توجه إلى سرحة البحيرة في سنة 751ه/1350م بعشرة آلاف إردب من الشعير، وخمسين ألف درهم زيادة في إقطاعه بناحية طموه[5] من الجيزة[6]. كما زار السلطان بعد عودته من سرحاته جهة الأهرام في سنة 755ه الأمير شيخو بعد أن وعك صحياً، فقدّم له الأخير تقدمة سنية[7].

وبعد عودة السلطان الأشرف شعبان (764-778هـ/1361-2363م) من الصيد في 18 ربيع الآخر سنة 772ه، قدمت الأدراك[8] تقادم جليلة[9]. وخلع على أمراء الألوف، بعد قدومه من سرحة البحيرة في في رجب سنة 774ه، بخلع جليلة، وهي: "أقبية حرير بفرو سمور[10]، وأطواق سمور بزركش. وعلى أمراء الطبلخاناة والعشرات بأقبية حرير بطرز زركش، منها ما تحته فرو قاقم[11]، ومنها ما فروه سنجاب. واستجد في هذه السنة خلعة للأمير سابق الدين مقدم المماليك، وهي قباء حرير أزرق بطرز زركش عريض، فخلع عليه ذلك. ولم يتقدم قبله لأحد من مقدمي المماليك مثل هذا"[12].

4- أدى خروج السلاطين والأمراء إلى الصيد وغيابهم فيه لفترات عن مقر حكمهم بالقاهرة إلى نشوء المؤامرات وتنفيذ بعض المآرب للمتصارعين على الحكم.

أتاح الفراغ الذي كان يتركه الأمراء والسلاطين بالقاهرة عند خروجهم للصيد فرصة لتنفيذ مآرب الطموحين من الأمراء والفرق المتصارعة على الحكم، فعندما أراد الأمير سيف الدين قطز (657-658ه/1259-1260م) الانفراد بالملك، انتظر خروج الأمراء المعزية للصيد ورمي البندق في العباسة

---

[1] الأمير سيف الدين صرغتمش بن عبد الله الناصري، أصله من مماليك السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وكان من كبار الأمراء في عهد السلطان الناصر حسن، ومدبر المملكة بعد موت الأمير شيخون، فكثرت أمواله، وعظم شأنه، وآخر عهده أعتقله السلطان حسن، وسجنه بالإسكندرية حتى توفي بها في ذي الحجة سنة 759ه. انظر: الحسن بن عمر ابن حبيب، **تذكرة النبيه**، تحقيق: محمد محمد أمين، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986م)، ج3، ص213؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، ج6، ص342-344، ترجمة رقم1217.

[2] الأمير سيف الدين بَيْبُغاروس (أو أُرُس) بن عبد الله القاسمي، كان من جملة أمراء الملك الناصر محمد بن قلاوون، ولي نيابة السلطنة بالديار المصرية، ثم نقل إلى نيابة حلب، الذي ظل بها حتى خرج عن طاعة السلطان الصالح، فقبض عليه السلطان وحبسه بقلعة حلب حتى قتل بها سنة 753ه/1352م. انظر: الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج10، ص355، ترجمة رقم4849؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، ج3، ص486-489، ترجمة رقم731.

[3] هو الأمير شيخو الناصري، تقدم في أيام المظفر حاجي، واستقر في أول دولة الناصر حسن من رؤوس المشورة، ثم كانت القصص تقرأ عليه، وصار زمام الملك بيده وتوفي في سنة 758هـ انظر: ابن حجر، **الدرر الكامنة**، 2/351-352.

[4] المقريزي، **السلوك**، ج2، ق3، تحقيق محمد مصطفى زيادة، ص809؛ ابن شاهين الظاهري، **نيل الأمل**، ق1، ج1، ص194.

[5] طَموه: هي قرية من القرى المصرية القديمة، واسمها الأصلي طموى وحرف إلى طموية، ثم إلى طموه وهو اسمها الحالي، وحاليًا قرية بمركز الجيزة، مديرية الجيزة. انظر: محمد رمزي، **القاموس الجغرافي**، مج4، ق2، ج3، ص16؛ وتعليقاته على النجوم الزاهرة، ج10، ص218، حاشية1.

[6] المقريزي، **السلوك**، ج2، ق3، ص821؛ ابن شاهين الظاهري، **نيل الأمل**، ق1، ج1، ص204؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج10، ص218.

[7] المقريزي، **السلوك**، ج3، ق1، ص7؛ ابن شاهين الظاهري، **نيل الأمل**، ق1، ج1، ص276.

[8] الدرك هو المكان الذي تحدد عليه الحراسة المستمرة ويكون صاحب الدرك إلى وقت معلوم ثم يتلوه آخر. انظر: محمد قنديل البقلي، **التعريف مصطلحات صبح الأعشى**، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984م)، ص135.

[9] المقريزي، **السلوك**، ج3، ق1، ص190؛ ابن شاهين، **نيل الأمل**، ق2، ج1، ص22.

[10] السَّمُّورُ: هو حيوان بري يشبه السنور، وقد يكون أكبر منه، وهو جريء ليس في الحيوان أجرأ منه على الإنسان، لا يصاد إلا بالحيل. ومنه يتخذ نفيس الفراء. انظر: القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج2، ص49؛ محمد بن موسى الدميري، **حياة الحيوان الكبرى**، تحقيق: إبراهيم صالح، (دمشق: دار البشائر، 2005م)، ج2، ص570، 571.

[11] دويبة تشبة السنجاب، أبيض، ويشبه جلده جلد الفتنك، وهو أعز قيمة من السنجاب. انظر: الدميري، **حياة الحيوان**، مج3، ص461.

[12] المقريزي، **السلوك**، ج3، ق1، ص205.

وغزة؛ فقبض على السلطان الطفل المنصور نور الدين علي بن الملك المعز أيبك (655-657ه/1257-1259م) وعلى أخيه وأمهما، واعتقلهم في برج بقلعة الجبل، ولما عاد الأمراء من الصيد أخذ يرضيهم قطز حتى تمكن من السيطرة على الحكم، وكان ذلك يوم السبت 24 ذي القعدة سنة 657ه [1].

والأمر نفسه عندما انتهز الأميران طشتمر حمص أخضر[2] وقطلوبغا الفخري[3]، خروج السلطان السلطان أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون (743ه/1342م) للصيد في سنة 743ه، وهربوا من سجنهما، الذي عاقبهم به السلطان ومنع عنهما الطعام ليومين بقصد قتلهما جوعًا، فكسروا قيدهما، وخلعا باب السجن ليلًا، واستطاع حارس السجن اللحاق بهما مع أصحابه والقبض عليهما، "وبعثوا إلى السلطان بخبرهما، فقدم في زي العربان ... فأحضرهما وقد كثرت بهما الجراحات، فأمر السلطان بضرب أعناقهما ... وأخذ يسبهما ويلعنهما، فردا عليه رداً قبيحاً، وضرب رقابهما؛ فأشتد قلق الأمراء"[4] .

وقد استغل المظفر حاجي بن محمد بن قلاوون، خروج كبار الأمراء إلى الصيد في مستهل شعبان من سنة 748ه/ 1347م، فرسم لهم ألا يحضروا إلى القاهرة قبل العشر الأخير من رمضان، وخلا الجو له، "وأعاد حضير[5] الحمام، وأحضر إليه عدة من عبيده وأعاد أرباب الملاعيب... ومطيري الحمام، فكان يقف معهم ويراهن على الطير الفلاني والطيرة الفلانية... وبعث إلى المؤذنين يأمرهم أنهم إذا رأوا الحمام لا يرفعون أصواتهم"[6].

واستغل المظفر حاجي أيضاً خروج بعض الأمراء إلى الصيد في 15 شعبان سنة 748ه/1347م، وأخذ يُدبّر لقتل أخيه الأمير حسين، ورصد له عدة خدّام ليهجموا عليه عندما تحين لهم الفرصة ويغتالونه، فتمارض أخيه واحترس على نفسه فلم يقدروا عليه[7].

وعندما قدم الأمراء قبل أوانهم من الصيد في أخريات شعبان، وبلغهم ما كان من أفعال السلطان في غيبتهم[8] . فعظم ذلك عليهم، وأخذوا يُنكرون عليه اللعب بالحمام وتقريب الأوباش، وخوفوه فساد الأمر، غضب السلطان وأمر بخراب حضير الحمام، وأحضر الحمام وذبحها بيده، وبدأ يُهدد الأمراء بذبحهم مثلما فعل مع الحمام، ووزعّ جماعة من خشداشية الأمراء في البلاد الشامية، وأخذ في التدبير للتخلص منهم، وأخذوا هم أيضًا في التدبير على السلطان. فحاول السلطان التفريق بينهم والتخلص منهم على حده، فأخرج الأمير بيبغاروس للصيد بالعباسة، فعرف بذلك وباقي الأمراء، فاجتمعوا جميعاً لابسين آلة الحرب، فركب السلطان إليهم وعند وصوله انسحب أمراءه، وبقي السلطان في نحو عشرين فارسًا، فانهزم وتكاثر عليه الأمراء وقتلوه[9].

---

[1] ابن واصل، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، تحقيق: عمر تدمري،(بيروت: المكتبة العصرية، بيروت)، ج6، ص262، 263؛ ابن أيبك، **كنز الدرر**، ج8، ص39؛ المقريزي، **السلوك**، ج1، ق2، ص417، 418.

[2] الأمير سيف الدين طشتمر بن عبد الله الناصري الساقي، المشهور حمص أخضر، كان من مماليك السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وأحد خواصه، وتقلب في الوظائف فولى نيابة السلطنة بصفد، ثم بحلب، ثم بمصر، وتوفي سنة 743ه/1342م. انظر: الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج16، ص437-442، ترجمة رقم474؛ ابن حبيب، **تذكرة النبيه**، ج3، ص46؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، ج6، ص392-394، ترجمة رقم1245.

[3] الأمير سيف الدين قطلوبغا بن عبد الله الفخري الناصري الساقي، كان من أمراء السلطان الناصر محمد قلاوون، وولى نيابة السلطنة بدمشق ولم يباشرها، وتوفي سنة743ه/1342م. انظر: الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج24، ص255-259، ترجمة رقم270؛ ابن حبيب، **تذكرة النبيه**، ج3، ص46، 47؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، ج9، ص82-86، ترجمة رقم1884.

[4] المقريزي، **السلوك**، ج2، ق3، ص617.

[5] الحضير والحضيرة صيغة عامية فيما يبدو للفظ حظير أو حظيرة، وهو هنا مكان بأعلى الدار من الدور لتربية الدواجن، الدواجن، ولا يزال هذا اللفظ مستعملا بالتذكير والتأنيث في اللغة العامية في مصر. انظر: تعليقات محمد مصطفى زيادة على كتاب المقريزي، **السلوك**، ج2، ق3، ص726، حاشية2.

[6] المقريزي، **السلوك**، ج2، ق3، ص739.

[7] المقريزي، **السلوك**، ج2، ق3، ص740،741؛ ابن شاهين الظاهري، **نيل الأمل**، ق1، ج1، ص152.

[8] المقريزي، **السلوك**، ج2، ق3، ص741.

[9] المقريزي، **السلوك**، ج2، ق3، ص741-744.

كما انتهز الأمير شيخو مع جماعة من الأمراء سفر الأمير طاز الناصري للصيد في البحيرة، وقام يوم الاثنين ثاني شوال سنة 755ه بعزل السلطان الصالح صالح بن الناصر محمد (752-755ه/1351-1354م) وإعادة أخيه السلطان الناصر حسن[1] إلى السلطنة، وقبضوا على الأمير طاز[2].

ومن أمثلة ذلك أيضاً ما قام به الأمير إينال اليوسفي[3] بعدما علم باتفاق الأميرين بركة[4] وبرقوق وبرقوق عليه، فقد انتهز خروج الأمير بركة لجهة الصيد بالبحيرة في شعبان سنة 781ه، وخرج على الأمير برقوق في يوم الاثنين 24 من شعبان وملك اصطبله ونهب ما في بيته، وحاول استمالة مماليكه ووعدهم بالمال والإقطاعات، وعندما علم برقوق بذلك خارت قواه وكاد أن يفرّ لولا تقوية الأمير أَيْتَمُش[5] له، فأجتمع الناس حوله ومماليكه، واستطاع هزيمة إينال وقبض عليه وسجن بالإسكندرية، واحتفل بانتصاره مع الأمير بركة بعد عودته، وزينت القاهرة ومصر لذلك[6].

5- كان من أثر رحلات الصيد بروز دور موظفي الصيد في الدولة:

عيّنت الدولة المملوكية مجموعة من الموظفين للإشراف على شؤون الصيد منهم أمير شكار، وهو الموظف المسؤول عن رعاية الجوارح السلطانية من الطيور[7]، وتخريجها وإصلاحها[8]، وكل ما يتعلق يتعلق بأمور الصيد، وحيواناته، وأحواش الطيور وغيرها[9]. ومنهم البيازرة، الذين يحملون على أيديهم الطيور الجوارح المعدة للصيد من البزاة، والصقور والشواهين والعقبان وغيرها[10]، أما الكلابزية فهم

---

[1] حكم السلطان الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون فترتين وهي على التوالي: (748-752ه/1347-1351م)، (755-762/1354-1361م).

[2] المقريزي، **السلوك**، ج2، ق3، ص929، 930؛ ابن شاهين الظاهري، **نيل الأمل**، ق1، ج1، ص270،271؛ ابن سباط، سباط، **صدق الأخبار (تاريخ ابن سباط)**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (طرابلس، لبنان، 1993م)، ج2، ص711، 712.

[3] الأمير سيف الدين إينال بن عبد الله اليوسفي اليلبغاوي، تقلب في الوظائف فتولى نيابة طرابلس، ثم نقل إلى نيابة حلب، ثم نقله الظاهر برقوق إلى أتابكية دمشق، ثم أعاده إلى نيابة حلب مرة أخرى، وفي سلطنة برقوق الثانية تولى نيابة صفد، ليستقر أخيرا في أتابكية العساكر بمصر، وتوفي جمادي الآخرة سنة 794ه/1391م. انظر: ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، ج3، ص189-194، ترجمة رقم615؛ ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، ج1، ص441؛ علي بن داود الصيرفي، **نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان**، تحقيق: حسن حبشي، (القاهرة: دار الكتب، 1970م)، ج1، ص351، ترجمة رقم160.

[4] الأمير زين الدين بركة بن عبدالله الجوباني اليلبغاوي اشتراه الأمير يلبغا الخاصكي من الخواجا جوبان، وأصبح مُدبّراً للدولة مع الأمير برقوق في نهاية دولة المماليك الأولى، ثم حدثت فتنة بينه وبين برقوق، انتهت إلى هزيمة بركة وقتله في سنة 872هـ. انظر: ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، 351/3.

[5] الأمير أَيْتَمُش البجاسي أو البحاسي الجركسي، أتابك العساكر في دولة الظاهر برقوق، وقتل في سنة 802هـ بقلعة دمشق. انظر: السخاوي، **الضوء اللامع**، 324/2.

[6] المقريزي، **السلوك**، ج3، ق1، ص365-367؛ ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، ج1، ص199، 200؛ ابن شاهين الظاهري، **نيل الأمل**، ق2، ج1، ص157،158؛ السخاوي، **وجيز الكلام**، ج1، ص244.

[7] القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، ص22؛ سعيد عاشور، **العصر المماليكي**، ص400؛ نبيل عبد العزيز، **رحلات الصيد**، ص51.

[8] يذكر المقريزي في أحداث سنة 680ه/1281م "وصول الأمير شهاب الدين أحمد بن والي القلعة أمير شكار من دمشق لتخريج الجوارح وإصلاحها"، والمقصود بتخريج الجوارح أي تدريبها انظر: تعليقات محمد مصطفى زيادة على كتاب المقريزي، **السلوك**، ج1، ق3، ص700، حاشية2.

[9] القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، ص22، ج5، ص461؛ سعيد عاشور، **العصر المماليكي**، ص400؛ نبيل عبد العزيز، **رحلات الصيد**، ص51.

[10] البازدار أو البازيار، هو الذي يحمل الطيور الجوارح المعدة للصيد على يده، وخص بإضافته إلى الباز الذي هو أحد أنواع الجوارح دون غيره لأنه هو المتعارف عليه بين الملوك في الزمن القديم، وكان يعاونه جملة من الصبيان يحملون الطير على أيديهم. وكان للبازدار فرسان جيدان؛ أحدهما قصير هملج (أي يسير سيرا حسنًا في سرعة) والآخر عكسه، فضلًا عن كونه يتبطئ عند الإرسال لإدراك الطرائد، وليكن سهل الحبس، سريع الاندفاع، عديم النفور. انظر: القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج5، ص469؛ ابن اياس، **بدائع الزهور**، ج4، ص50؛ نبيل عبد العزيز، **رياضة الصيد**، ص53؛ **المعجم الوسيط**، ص995.

المتولين لتربية كلاب الصيد [1]، ويتبعهم الفهّاد الذين يرعون الفهود، والموكل إليهم حراستها وتعليمها الصيد[2].

وكان للكلابزية دورًا في إحراق القاهرة ومصر في سنة 721ه/1321م، عندما شاركوا العامة في ذلك، ويرجّح نبيل عبد العزيز أن اعتماد سلاطين المماليك والأمراء في صيدهم على الجوارح من الصيد في هذا الوقت، هو الذي دفع الكلابزية، دون غيرهم من أرباب خدم الصيد، إلى ذلك[3]. وبعد أن قبض الناصر محمد بن قلاوون على عدد الكلابزية أمر بقطع أيدهم، لولا شفاعة[4] كريم الدين الكبير ناظر الخاص[5] والأمير بكتمر الساقي[6] فعفا عنهم وخفف العقاب، حيث أمر بتقييدهم وإرسالهم للعمل في الحفير بالجيزة[7].

6-كان للصيد مخاطر جمة على حياة السلاطين وعلى السلطنة ذاتها:

نُصح السلاطين "بالتوسط في الخروج إلى الصيد، فذلك خير من الإكثار منه، ولأن في الصيد يطرأ الخطأ والسقوط والجراح وغيرها والتوسط في ذلك خير من الأفراط"[8]. كما أن انشغال السلاطين بالصيد لفترة طويلة بعيد عن مقر حكمه أدى إلى اضطراب أحوال البلاد، وقيام الثورات ضده فكان يعين نائب غيبة صيد أو سفر[9]، وذلك لإخماد الثوائر وخلاص الحقوق[10]. ومن أمثلة ذلك:

إصابة السلطان الظاهر بيبرس أثناء عودته من دمشق إلى مصر في الاثنين 2 محرم سنة 665ه، فقد سار إلى الكرك ونزل ببركة زيزاء[11]، وركب ليتصيد فسقط عن فرسه في الأحد 8 محرم، وتأخر هناك أيامًا. ويبدو أن إصابة بيبرس كانت خطيرة؛ فقد سار بعد ذلك إلى غزة في محفة[12] على أعناق

---

[1] كلاب بزي (جمعه كلابزة وكلابزية)، وهو الشخص الذي يتولى تربية كلاب الصيد، ويركب بها مع السلطان أو الأمير، الأمير، وكان مباشر الفرش خاناه يعرف ما يحتاج إليه السلطان أو الأمير من الكلابزية. انظر: النويري، **نهاية الأرب**، ج8، ص226؛ عبدالوهاب السبكي، **معيد النعم ومبيد النقم**، تحقيق: محمد علي النجار وآخرون، (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1413هـ/1993م)، ص145؛ سعيد عاشور، **العصر المماليكي**، ص450؛ نبيل عبد العزيز، **رياضة الصيد**، ص55.

[2] ابن منظور، **لسان العرب**، (القاهرة: دار المعارف، د.ت)، مادة (فهد)؛ سعيد عاشور، **العصر المماليكي**، ص44؛ نبيل عبد العزيز، **رياضة الصيد**، ص56.

[3] **رياضة الصيد**، ص55.

[4] للمزيد عن الشفاعات الواردة في هذه الحادثة راجع: أحمد محمد عطوة، **الشفاعة في العصر المملوكي الأول (648-784هـ/1205-1382م) دراسة تاريخية تحليلية**، (الرياض: الجميعة التاريخية السعودية، 1435هـ/2014م)، ص232-233.

[5] عبد الكريم بن هبة الله بن السديد المصري، وكيل الناصر محمد ومدبر دولته وناظر خواصه، ومن أقرب الناس إليه، ثم تغير عليه وسجنه فمات مشنوقًا في سنة 724. انظر: الكتبي، **فوات الوفيات**، ج2، ص337 وما بعدها؛ ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج1، ص477؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، ج7، ص345.

[6] الأمير سيف الدين بكتمُر الساقي المظفري، أحد مماليك المظفر بيبرس، ثم اختص الناصر محمد لنفسه وبلغ منه مكانة كبيرة لم يصل إليها أحد من قبله، ثم تغيّر عليه السلطان عندما وصله أن بكتمر الساقي يتآمر مع بعض الأمراء لأخذ الملك فقتل مسموماً في سنة 733هـ. انظر: **ابن حجر، الدرر الكامنة**، 21/2.

[7] المقريزي، **السلوك**، ج2، ق1، ص225، 226؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج9، ص69، 70.

[8] الحسن بن عبد الله العباسي، **آثار الأول في ترتيب الدول**، تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، 1989م، ص276؛ نبيل عبد العزيز، **رياضة الصيد**، ص78.

[9] العمري، **التعريف بالمصطلح**، ص94،95؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، ص17،18؛ غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري، **زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك**، اعتنى بتصحيحه بولس راويس، ط2، (القاهرة: دار العرب للبستاني، 1988-1989م)، ص112؛ نبيل عبد العزيز، **رياضة الصيد**، ص32.

[10] القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، ص17، 18؛ ابن شاهين الظاهري، **زبدة كشف الممالك**، ص112؛ نبيل عبد العزيز، **رياضة الصيد**، ص32.

[11] بركة زيزاء: من قرى البلقاء كبيرة يطؤها الحاج ويقام بها لهم سوق وفيها بركة عظيمة. انظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج3، ص163.

[12] المحفة، الهودج وكان يسمى ممسك المحفة أو من يقوم بخدمتها بالمحفدار. انظر: البقلي، **مصطلحات**، ص303.

الأمراء والخواص، ومنها إلى مصر فنزل بلبيس[1] في 13 صفر، ثم رحل إلى القاهرة، وبقي مريضاً إلى إلى أول ربيع الأول، ركب بعدها الفرس وسار إلى باب النصر وأقام هناك إلى الخامس من ربيع الأول توجه خلالها إلى بركة الجب لرمي البندق[2]، ثم صعد إلى القلعة [3]. ويتضح من ذلك مدى تأثير إصابة بيبرس على إدارة السلطنة فقد بقي ما يزيد على 50 يومًا مريضًا.

وعندما خرج السلطان الناصر محمد بن قلاوون للصيد على عادته إلى بركة الجُب في ذي الحجة سنة 723ه، أخذه ألم عظيم في جوفه كاد أن يأتي عليه، فنذر لله إن عافاه ليبنين في هذا الموضع مكانًا للعبادة، وعندما خف عنه الألم قضى نهمه من الصيد، وعاد إلى القلعة فلزم الفراش مدة أيام، ثم عوفي، فركب بنفسه، ومعه المهندسين، وبنى الخانقاه[4] الناصرية بسرياقوس شمالي البركة، ومثلها من شرقي سرياقوس[5]. وعندما سافر في 9 صفر سنة 730ه إلى بلاد الصعيد على عادته، ومعه الملك المؤيد إسماعيل صاحب حماة، عاد بعد أيام قليلة لتوعك بدنه من دُمَّل طلع في جسده، وأقام بقلعة الجبل إلى 21 صفر[6].

ولما سار الناصر قلاوون إلى نواحي قليوب[7]. في 25 ربيع الآخر سنة 730ه يريد الصيد؛ فبينا هو في ذلك تقنطر عن فرسه وانكسرت يده اليسرى، وغُشي عليه ساعة وهو ملقي على الأرض ثم أفاق وعاد إلى القلعة في عشية الأحد 28 ربيع الآخر، فتعطلت الخدمة مدة 37 يومًا؛ حتى أتم شفاءه يوم الأحد 4 جمادي الآخرة، وزينت القاهرة ومصر لذلك[8].

---

[1] بِلْبِيس: هي من المدن القديمة، وتقع على الطريق من الفسطاط بمصر إلى الرملة التي بفلسطين، ويقال بينها وبين الفسطاط عشرة فراسخ، وهي حاليا مركز بلبيس ضمن محافظة الشرقية. انظر: ياقوت،معجم البلدان، مج1، ص479؛ محمد رمزي، **القاموس الجغرافي**، مج2، ق2، ج1، ص100، 101.

[2] البندق، هي كرات تصنع من الطين أو الحجارة أو الرصاص يستخدمها الرماة في الصيد، وكان البندق يرمى بالأقواس ثم صار يرمى بالمزاريق والأنابيب عن طريق ضغط الهواء من مؤخرة الأنبوب، والبندقانيون هم صانعو البندق. انظر: انظر: سعيد عاشور، **العصر المماليكي**، ص405؛ نبيل عبد العزيز، **رياضة الصيد**، ص61.

[3] ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**، ص271، 272؛ بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، ص59؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج30، ص133؛ المقريزي، **السلوك**، ج1، ق2، ص555؛ موسى بن محمد اليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، (حيدر آباد: صحح تحت اعانة وزارة معارف الحكومة العالية الهندية، 1955م)، مج2، ص360؛ ويذكر بيبرس المنصوري هذه الحادثة في سنة 664ه.

[4] الخانقاه (جمعها خوانق، وخوانك): أصلها من الفارسية، وهي تتركب من كلمتين "خان" و"قاه"، وخان مصدرها خاندن، ومعناه القراءة والذكر، وقاه المكان والمعنى بالعربية مكان الذكر والقراءة، وهي بيت أو دار الصوفية، وقد حدثت في الإسلام في حدود الأربع مائة من سنى الهجرة، وجعلت لتَتَخَلّي الصوفية فيها لعبادة الله تعالى. انظر: المقريزي، **الخطط**، مج4، ص724؛ البدراوي زهران، **في علم اللغة التاريخي "دراسة تطبيقية على عربية العصور الوسطى"**، (القاهرة: دار المعارف، 1999م)، ص235، 236.

[5] المقريزي، **الخطط**، ج4، ص767، 768؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج9، ص79؛ عبد العال الشامي، **السرحات السلطانية**، ص39؛ سِرْياقوس: من القرى القديمة بمصر، وكانت من ضواحي القاهرة، وهي الآن من قرى مركز شبين القناطر بمديرية القليوبية، واقعة على الشاطئ الشرقي لترعة الإسماعيلية في شمال القاهرة، وعلى بعد 18 كيلو مترا منها. انظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مج3، ص218؛ محمد رمزي، **القاموس الجغرافي**، مج2، ق2، ج1، ص35؛ وتعليقاته على كتاب النجوم الزاهرة، ج9، ص79، حاشية1.

[6] المقريزي، **السلوك**، ج2، ق2، ص317؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج9، ص93.

[7] مدينة تقع شرق النيل من ضواحي القاهرة. انظر: ابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (ممالك مصر والشام والحجاز واليمن)**، تحقيق أيمن فؤاد سيد، (القاهرة: المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة)، 1985م، ص 99.

[8] النويري، **نهاية الأرب**، ج33، ص302؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، ق2، ص317، 318؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج9، ص93، 94.

ولما توجه الناصر إلى الوجه القبلي للصيد في ربيع الآخر من سنة 736ه، ثم عاد إلى القاهرة بعد أن غاب 45يومًا، فوجد الصراع بين الأمراء وشرف الدين النشو، ناظر الخاص، قد تطور ووصل إلى درجة كبيرة فترة غيابه، مما كان بداية النهاية لأسرة النشَّو في دولة الناصر محمد بن قلاوون[1].

كما كان الأمير تنكز يستغل تردده لسنين متعددة إلى قلعة جعبر[2] للصيد هناك في سنة 741ه، لتجهيز القلعة للعصيان بها ضد الناصر محمد بن قلاوون بالاتفاق مع بعض مماليكه هناك، حيث نقل إليها تنكز الكثير من المهمات وحصّنها وعين عليها نائباً، قبض الناصر محمد عليهم جميعاً[3].

كما أقبل السلطان الصالح إسماعيل (743-746هـ/1342-1345م) على الصيد وولع به، فكان يركب إلى سرحة سرياقوس أو سرحة الأهرام في صحبة أمه وفي موكبها مائتي امرأة راكبة الأكاديش[4] الأكاديش[4] "بثياب الأطلس الملون، وعلى رؤوسهن الطراطير البلغاري المرصع بالجوهر واللآلئ، وبين أيديهن الخدام الطواشية من القلعة إلى السرحة"، فأدى ذلك إلى: استيلاء الخدام والطواشية في أيامه على الدولة، وعظم أمرهم مع تحكم كبيرهم عنبر السحرتي[5] مربي السلطان، الذي اقتنى البزاة[6] والسناقر[7]، وغيرها من الطيور والجوارح، وصار يتصيد بثياب الحرير المزركشة، واتخذ له كفًا للصيد للصيد مرصعًا بالجواهر[8].

كما اشتدّ فساد عربان الوجه القبلي في سنة 745ه/1344م، وقطعوا الطرقات على الناس، واشتعلت الفتن بينهم لمدة شهرين قُتل فيها الكثير من الناس، و"أغار عرب الفيوم بعضهم على بعض، وذبحوا الأطفال على صدور أمهاتهم، فقتل بينهم قتلى كثيرة، وأخربوا ذات الصفا[9]، ومنعوا الخراج في الجبال، وقطعوا المياه حتى شرق أكثر بلاد الفيوم؛ فلم يلتفت أمراء الدولة لذلك؛ لشغلهم بالصيد ونحوه"[10].

وساءت أحوال البلاد خلال فترة حكم السلطان الكامل شعبان بن الناصر محمد بن قلاوون (746-747ه /1345-1346م) على الرغم من قصرها، وكان يسرف في رحلات صيده وتنزهاته غير مبال بسوء الأوضاع[11]، فحينما خرج إلى سرحة سرياقوس في مستهل جمادي الآخرة من سنة 746ه/1345م أخذ حريمه معه، ونصب لهنّ أحسن الخيم في البساتين، وأخليت المناظر التي للأمراء حتى نزل أكثرهن بها[12]. ثم عاد إلى القلعة وخرج مرة أخرى لسرياقوس في نفس السنة، وأحضر عنده الأوباش [1]، فلعبوا

---

[1] ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج9، ص114.

[2] قلعة جعبر: تقع على الفرات بين بالس والرقة قرب صفين، وكانت قديمًا تسمى دوسر، وسميت جعبر نسبة إلى رجل ملكها من بني قشير أعمى يقال له جعبر بن مالك. انظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج2، ص142.

[3] ابن قاضي شهبة، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، مج2، ج1، ص118

[4] أكاديش: يعني الحصان الهجين غير أصيل، ومخصص للحمل أو لجر العربة، وقد يطلق أحيانًا على الحصان الخصي، كما يطلق أحيانًا على الحصان الصغير الجيد. انظر: دوزي، **تكملة المعاجم العربية**، ج9، ص48.

[5] عنبر السرحتي الناصري، ترقى في الخدم حتى أصبح أمير طبلخاناة، واستقر مقدم المماليك حتى صرف سنة 735، ثم أعيد في جمادى الآخرة سنة 747 هـ، ثم عزل وصودر ونفي إلى القدس في سنة 748هـ. انظر: ابن حجر، **الدرر الكامنة**، 233/4.

[6] البزاة والبازي: تُعد من أشرف الطيور الجوارح، وهو ما اصفرت عينه، وهو طائر خفيف الجناح، سريع الطيران، وأحرصها على طلب صيده، ويصنف على خمسة أصناف هي: البازي، والزرق، والباشق، والعفصى، والبيدق. انظر: النويري، **نهاية الأرب**، ج10، دار الكتب المصرية، 1933م، ص186-194؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج2، ص55-58.

[7] السناقر ومفردها السُّنْقر: هي أشرف الجوارح، وليس له ذكر في القديم، وتجلب من البحر الشامي، وكان يغالى في ثمانها، وهو معدود في الصقور. انظر: ابن فضل الله العمري، **التعريف بالمصطلح الشريف**، تحقيق: سمير الدروبي، (الأردن: جامعة مؤتة، 1992م)، ص342؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج2، ص59، 60.

[8] المقريزي، **السلوك**، ج2، ق3، ص678، 679؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج9، ص96، 97.

[9] ذات الصفا، من الأعمال الفيومية. انظر: محمد رمزي، **القاموس الجغرافي**، مج1، ق1، ص264.

[10] المقريزي، **السلوك**، ج2، ق3، ص668.

[11] المقريزي، **السلوك**، ج2، ق3، ص703، 704؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج10، ص140، 141.

[12] المقريزي، **السلوك**، ج2، ق3، ص688؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج10، ص121.

فلعبوا باللَّبْخة[2]، وقتل في اللعب بها جماعة، وخلع على بعضهم، وأنعم على كبيرهم بخبز في الحلقة، واستمر السلطان على هذا الحال، وأعرض عن تدبير الأمور[3]. فأدى ذلك إلى:

أ- تظاهر المماليك السلطانية بالفواحش وشرب الخمر، "وركبوا في الليل وقطعوا الطريق على المسافرين، واغتصبوا حريم الناس، وصارت سرياقوس حانة"[4].

ب- تمرد المماليك ضد السلطان، "وأخذوا حُرم الناس، وقطعوا الطريق، وفسدت عدة من الجواري، وكثرت الفتن بسبب ذلك حتى بلغ السلطان، فلم يعبأ بهذا، وقال: خلوا كل أحد يعمل ما يريد"[5].

وقد أخذ الأمراء على السلطان الكامل شعبان "تمكينه الخدام والنساء من التصرف في المملكة، والتهتك في النزة والصيد، واللعب بالكرة بالهيئات الجميلة، وركوب الخيل المسومة، وعدم الاحتشام من فعل المنكرات"[6] ، وكل هذه الأمور أدت إلى فساد وتوقف أحوال الدولة وقتل السلطان.

7-كان يمكن للأعداء الظفر بالسلاطين أثناء الصيد:

جاءت نصيحة الحكماء للسلاطين كالتالي: "لا ينبغي أن يتوغل في طلب الصيد في أرضٍ لم يخبرها فربما كانت فيها مسائل وأودية ومواحل ومهالك، وكذلك لا يدخل الأجمة (الشجر الكثيف الملتف) ومواضع السباع، ولا يجري بفرسه على الجندل، وبالجملة لا يغرر بنفسه ولا يصطاد في أرض العدو ومواضع يخاف فيها المكامن"[7] وعليه أيضا "ألا يغرر بنفسه في انفراده (أثناء الصيد) لما في ذلك من الغدر والضرر" [8]. "ويجب ألا يبعد السلطان عن دهليزه وعسكره، وأن يكشف عن حال القاصدين له كشفًا شافيًا ... ويتفقد أحوال الكشافة الذين يقدمون من قلعته بكل خبر قل أو جل"[9]. ومن أمثلة عدم اتخاذ السلاطين الحيطة والحذر في الصيد:

عندما اقترب السلطان قطز من الصالحية، وقد سبقه الدهليز والعسكر إلى هناك، ووصل إلى منزلة القصير فر من أمامه أرنب، فتبعه لاصطياده، وانحرف في مسيره عن درب الصيد، فلحقه الأمير بيبرس البندقداري ومن معه من الأمراء وقتلوه، وذلك يوم السبت 16من ذي القعدة سنة 658ه[10].

وأيضاً عندما خرج السلطان الأشرف خليل بن قلاوون للصيد في 3 محرم سنة 693هـ، وعدى إلى الجيزة ومنها توجه إلى قرية تَرُوجَه فخيّم بها، وكان في صحبته الأمير بدر الدين بيدرا[11]، والوزير ابن السلعوس، وقد اشتدت العداوة بينهما، وعند توجه الوزير إلى الإسكندرية وجد أن نواب الأمير بيدرا قد استولوا على المتاجر، فكاتب السلطان بذلك، الذي اشتدد غضبه على بيدرا، فاستدعاه وأهانه أمام الأمراء، فخرج بيدرا من خيمة السلطان وقد عزم على قتل السلطان، وحانت الفرصة في يوم الاثنين 12

---

(1) أوباش مفردها الوبش، واحد من الناس، وهم الأخلاط والسفلة. انظر: **المعجم الوسيط**، ص1008.

(2) لعبة اللبخة أو المطرق أو التحطيب أو العصا: هي لعبة خاصة بأهل مصر، واللبخة حطبة مأخوذة من شجر اللبخ الذي كان منتشرًا بكل من جزيرة الروضة، وصعيد مصر. انظر بالتفصيل عن هذه اللعبة: نبيل محمد عبد العزيز، **الملاعيب في عصر سلاطين المماليك**، ق2، الرياضات البدنية، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 2002م)، ص86-94.

(3) المقريزي، **السلوك**، ج2، ق3، ص703؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج10، ص128.

(4) المقريزي، **السلوك**، ج2، ق3، ص689؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج10، ص122؛ ابن شاهين الظاهري، **نيل الأمل**، ق1، ج1، ص116.

(5) المقريزي، **السلوك**، ج2، ق3، ص703؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج10، ص128.

(6) المقريزي، **السلوك**، ج2، ق3، ص713.

(7) الحسن بن عبد الله، **آثار الأول**، ص267، 268.

(8) ابن المنكلي، **أنس الملا**، ص17.

(9) ابن المنكلي، **أنس الملا**، ص24؛ نبيل عبد العزيز، **رياضة الصيد**، ص33.

(10) ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج6، ص297، 298؛ ابن أيبك، **كنز الدرر**، ج8، ص61،62؛ بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، ص45؛ المقريزي، **السلوك**، ج1، ق1، ص435؛ ابن سباط، **صدق الأخبار**، ج1، ص397.

(11) الأمير بدر الدين بيدرا المنصوري، كان وزيرا للسلطان الملك المنصور قلاوون، ثم عين نائب السلطنة بمصر للسلطان الأشرف خليل، وكان محبا للكتب واقتنى منها الكثير. وتوفي مقتولًا سنة 693ه/1294م. انظر: الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج6، ص360-362، ترجمة رقم4855؛ المقريزي، **المقفى الكبير**، ج2، ص562-568، ترجمة رقم1009؛ ابن تغري برديَ، **المنهل الصافي**، ج3، ص493-495، ترجمة رقم734.

محرم عندما ركب السلطان جريدة وليس معه سوى أمير شكاره، فرأى طيرًا فصرع منه بالبندق شيئًا كثيرًا، ثم ركب إليه الأمير بيدرا مع جماعة من الأمراء وأجهزوا على السلطان بالسيف وقتلوه[1].

8- استعمال الصيد وسيلة للقضاء على الأعداء وجمع المعلومات، فقد استغل السلاطين الصيد حيلة للقضاء على خصوم الدولة ومناوئيها، ومن ذلك:

قيام الظاهر بيبرس في 25 ذي الحجة سنة 664ه/1265م بقصد "الدياره التي خارج قرية قارا"[2] قارا"[2] ونهبها، ثم أظهر عزمه الاتجاه للصيد، فأمر بإخراج أهل قارا لينفروا أمامه[3]، وعندما ابتعدوا عن قريتهم أمر العسكر أن يضربوا رقاب الجميع، ولم يسلم منهم إلا من اختفى أو هرب أو تحصن في الأبراج، واتخذ منهم أسرى، ثم دخل العسكر إلى القرية ونهبوها؛ وكان سبب ذلك أن أهل هذه القرية كانوا يقومون بخطف المارين عليهم ويبيعونهم في الأسواق، ولما ثبت ذلك عند السلطان أمر بما حدث، وكان أهلها من النصارى[4].

وبعد استرداد الظاهر بيبرس لقيسارية[5] في سنة 663ه، رحل إلى عثليث[6] ليستكشف أحوالها، وهل يمكنه أخذها أم لا؟ "فعبر عليها جريدة كأنه يريد الصيد وهو يريد الكيد، ومر بها ولحظ أمرها"، وحصلت مناوشة بين العسكر الذين معه وبين أهلها[7] .

واستغل الظاهر بيبرس جيداً رحلات صيده في استقاء المعلومات عن أعدائه، فأثناء وجوده قرب العباسية في صفر سنة 666ه للصيد، بلغه حركة التتار على حلب، فعاد في حينها إلى القلعة بالقاهرة، وأمر بخروج الخيام، وخرج البريد إلى الشام بتجهيز العسكر[8] .

واستغل بيبرس أيضاً الصيد غطاءاً لتبرير خروجه من القاهرة إلى الحجاز في سنة 667هـ، حيث أشاع أنه يخرج إلى الكرك للصيد فوصل في ذي القعدة، ثم توجه إلى الشوبك، ومنها إلى المدينة النبوية فوصل إليها في 25 من شهر ذي القعدة، وبقي حتى 27 من الشهر ليرحل إلى مكة فوصل في 5 ذي الحجة، وأتم حجه بعد أن رتب الكثير من الأمور السياسية والاقتصادية هناك، ثم عاد إلى الكرك في نهاية ذي الحجة من سنة 667هـ[9].

كما استخدم الناصر محمد بن قلاوون الصيد حيلة أثناء حملته على العربان بالصعيد في 28 رجب سنة 713ه/1313م، فنزل تحت الأهرام بالجيزة، وأظهر أنه ذاهب إلى الصيد، ولكن القصد أخذ العربان بالصعيد، حيث كثر قطعهم الطريق، وكسروا الخراج، فبعث السلطان عدة من الأمراء حتى أمسكوا

---

[1] بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، ص136؛ بيبرس المنصوري الدوادار، **زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة**، تحقيق دونالد س. ريتشاردز، (بيروت: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، 1998م)، ص296، 297؛ المقريزي، **السلوك**، ج1، ق3، ص788-790؛ ابن سباط، **صدق الأخبار**، ج1، ص501.

[2] أوردها ياقوت الحموي باسم قارة: وهي قرية كبيرة على طريق حمص إلى دمشق وهي كانت آخر حدود حمص وما عداها من أعمال دمشق. انظر: **معجم البلدان**، ج4، ص295؛ عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي، **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، ج3، تحقيق: علي محمد البجاوي، (بيروت: دار المعرفة، 1954م)، ص1056.

[3] المنفر: هو الذي ينفخ بالبوق، لتنفير (اثارة) الصيد، ويُعد من عماد نظام حلقة الصيد، وكان التنفير إما: فردي عن طريق شخص يقف في مقدمة المتصيدة، ويتولى اثارة الصيد، وهو بمنزلة مقدم الجيش، أو تنفير جماعي كما فعل ذلك الظاهر بيبرس بإخراج أهل بلدة قارا لتنفير الصيد. انظر: ابن أيبك الدواداري، **كنز الدرر (الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية)**، تحقيق: أولرخ هارمان، (القاهرة: المعهد الألماني للآثار، 1971م)، ج8، ص120؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، ص13؛ سعيد عاشور، **العصر المماليكي**، ص463؛ نبيل عبد العزيز، **رحلات الصيد**، ص56، 72.

[4] ابن أيبك، **كنز الدرر**، ج8، ص119، 120.

[5] قَيْسارِيَةُ، بلد على ساحل بحر الشام تُعد في أعمال فلسطين بينها وبين طبرية ثلاثة أيام. انظر، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج4، ص421.

[6] عَثْلِيث: اسم حصن بسواحل الشام ويعرف بالحصن الأحمر، كان فيما فتحه الملك الناصر صلاح الدين يوسف سنة 583ه. انظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مج4، ص85.

[7] بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، ص53،54.

[8] المقريزي، **السلوك**، ج1، ق2، ص564.

[9] النويري، **نهاية الأرب**، ج30، ص166، 167.

طريق السويس وطريق الواحات، ثم رحل إلى فرجوط[1]، ومنها إلى القلعة يوم السبت 10 رمضان، وقد أخذ كثيرًا من العربان وبعثهم في المراكب إلى القاهرة، فسجنوا واستعملوا في الجسور[2].

وحينما أرسل الأمير آق سنقر نائب حلب إلى كل من الأميرين قفجق المنصوري[3] نائب حماة، وأسندمر نائب طرابلس[4] في سنة 709ه/1309م يطلبهما للحضور إليه للمشاورة فيما جاء في كتاب الناصر محمد بشأن اعتزامه العودة إلى ملكه ثانيًا؛ ركبا في الليل كأنهما سارحان للصيد، وذلك من باب إخفاء مهمتهما[5].

ويظهر الدور السياسي لرحلات الصيد عندما تخيّل المظفر بيبرس الجاشنكير من خروج الناصر محمد بن قلاوون أثناء إقامته بالكرك كثيراً للصيد في سنة 709هـ، فظن أنه يتجهز لدخول مصر والقبض عليه، فأرسل إليه من يجرده من مماليك وخيله التي بالكرك، وكان هذه بداية الأحداث التي أخذ يتلطف بها الناصر محمد بن قلاوون لعودته إلى الحكم[6].

ولاحتمالية أن يصبح الصيد سبباً في انشغال السلطان والأمراء عن أداء مهامهم، خصوصاً أمراء الثغور، نُصح هؤلاء بـ"ألا يخرجوا ويتشاغلوا عنها [أي الثغور] بصيد السماني والأرانب، ويحذرونهم ما قد يحدث في مثل ذلك" [7]. وقد حدث هذا عندما انشغل السلطان الأشرف شعبان ومدبّر دولته الأمير يلبغا الخاصكي في رحلات صيدهم وأخذ الفرنج الإسكندرية في المحرم من سنة 767هـ، حيث كان السلطان يتصيد بسرياقوس، والأمير يلبغا يتصيد بالعباسية، مما جلعهم يتأخرون في نجدتها وتأمينها، فمكث الفرنج بها ثمانية أيام، استباحوا فيها المدينة، وأسروا خمسة آلاف أسير[8].

9- كان للصيد دورًا في السياسة الخارجية المملوكية، فحرص السلاطين على استقبال الوفود القادمة من ملوك الغرب والدول المجاورة لمصر، واصطحبوا بعضهم في رحلات الصيد.

ولعل الراحة الجسدية والنفسية كانت تؤهل السلاطين لاتخاذ القرارات المناسبة، ويبدو أنها كانت وسيلة لإظهار السلاطين لقوتهم أمام هذه الوفود، بل كان يقدم أحيانًا السلاطين حصيلة ما يصيده هدايا لتوطيد العلاقات.

فعند قدوم رسول الملك هيثوم بن قسطنطين بن باساك Hethum of Constantine (1226-1270م) ملك الأرمن في سنة 665هـ إلى القاهرة ليشفع في ولده ليفون الأسير عند الظاهر بيبرس، وأن يكتب له هدنة بسنة[9]، اصطحب بيبرس الرسول وركب معه لرماية البندق في بركة الحجاج[10].

---

(1) فرجوط وفِرْشَوْطُ وبرشوك: هي قرية كبيرة على شاطئ غربي النيل من الصعيد، وهي الآن تابعة لمركز نجع حمادي بمديرية قنا. انظر: **ياقوت الحموي**، مج4، ص251؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، ق1، ص129، حاشية1؛ محمد رمزي، **القاموس الجغرافي**، مج5، ق2، ج4، ص197، 198.

(2) المقريزي، **السلوك**، ج2، ق1، ص129؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج9، ص36.

(3) من مماليك المنصور قلاوون، وتولى نيابة الشام في عهد المنصور لاجين في سنة 696هـ، ثم تولى نيابة حماة في عهد بيبرس الجاشنكير، واستمر بها حتى مجيء الناصر محمد بن قلاوون للحكم فولاه نيابة حلب سنة 709هـ واستمر بها إلى أن توفي في 710هـ. ابن حجر، **الدرر الكامنة**، 4/281-284.

(4) تولى نيابة طرابلس في سنة 701هـ، ثم ولي نيابة حماة لفترة فانتزعها منه الناصر وولاه للمؤيد إسماعيل على كره من أسندمر، وولاه الناصر نيابة حلب لفترة قليلة ثم أمسك وسجن وقتل في سنة 721هـ. ابن حجر، **الدرر الكامنة**، 1/462.

(5) نبيل عبد العزيز، **رياضة الصيد**، ص28.

(6) المقريزي، **السلوك**، ج2، ق1، ص52.

(7) الهرثمي، **مختصر سياسة الحروب**، تحقيق: عبد الرؤوف عون، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، 1964م، ص66.

(8) المقريزي، **السلوك**، ج3، ق1، ص104، 107؛ ابن شاهين الظاهري، **نيل الأمل**، ق1، ج1، ص373. وحول هذه الواقعة بالتفصيل انظر: المقريزي، **السلوك**، ص104-107؛ ابن شاهين الظاهري، **نيل الأمل**، ص373-375.

(9) للمزيد عن شفاعة هيثوم في ولده ليفون عند الظاهر بيبرس راجع: عطوة، **الشفاعة في العصر المملوكي**، ص150-152.

(10) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**، ص272؛ بيبرس المنصوري، **التحفة الملوكية**، ص59؛ المقريزي، **السلوك**، ج1، ق2، ص555.

كما وصل إلى مصر في السنة نفسها الملك المنصور محمد صاحب حماة (ت682ه/1283م)، فأجزل له الظاهر بيبرس العطاء، و"استصحبه إلى العباسية للصيد في تلك الناحية، وتفرجوا أيامًا"[1] .

وعند استقبال الناصر محمد بن قلاوون لرسل غازان ملك التتار في خيمته أثناء الصيد في سنة 701ه، أُعجب الرسل من ترتيب السلطنة وحسن هيئة الجيوش، فخلع عليهم السلطان وأنعم عليهم كل منهم بعشرة آلاف درهم، وتعابي قماش وغير ذلك[2].

كما اصطحب الناصر محمد معه إلى بلاد الصعيد، الملك المؤيد إسماعيل (ت732ه) صاحب حماة، وذلك أثناء زيارته إلى القاهرة في سنة 730هـ، فوصلا إلى مدينة هُوْ[3] بالصعيد، واستغرقت الرحلة أربعة اشهر فعاد السلطان إلى قلعة الجبل، وسافر المؤيد عائداً إلى حماة بعد أن غاب مع السلطان هذه الأيام الكثيرة[4].

وكان تبادل الهدايا من حيوانات الصيد وتجهيزات السفر بين سلاطين المماليك وملوك الغرب وملوك المسلمين أمراً شائعاً لتوطيد العلاقات بينهم؛ فقد أرسل ملك اليمن إلى الظاهر بيبرس هدية في سنة 666ه، وكان فيها فيل وحمار وحش أبيض وأسود وخيول، فقبلها السلطان وأخلع على مرسلها وأنعم على رسله[5]. ومنها ما جهزه ملك الحبشة في سنة 672ه/1273م من هدايا وكان فيها سباع سود[6]، و هدية ملك اليمن في سنة 674ه/1275م وكان من جملتها كركدن[7]، وفيل، وحمار وحشي، وسيّر السلطان إليه هدية مع رسله[8].

وحينما اصطاد الظاهر بيبرس صيودًا كثيرة في الشام في سنة 661ه/1262م، قدم عليه في غزة جماعة منهم أم الملك المغيث عمر بن العادل أبي بكر بن الكامل محمد صاحب الكرك، فأنعم عليها انعامًا كثيرًا، وأعطى سائر من معها وعادت إلى الكرك، "ومن جملة ما زوّدها به السلطان من صيده خمسة عشر حملًا"[9].

وعندما وصلت رسل ملوك الفرنج في يوم الثلاثاء سابع شهر رمضان سنة 684ه/1285م، أحضروا بين يدي السلطان المنصور سيف الدين قلاوون، وقدموا ما معهم من تقادم، وهي: من جهة الأنبرور، إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة، رودلف هابسبروج Rudolf of Habsburg (1273-1291م) - ما حمله 32 جملاً، و14 سنجاب[10] وسمور، ومن جهة الجنوية ستة سناقر[1]، وكلب أبلق.

---

[1] بيبرس المنصوري، **التحفة المملوكية**، ص60.

[2] ابن أيبك، **كنز الدرر**، ج9، ص66.

[3] هُو: يقال لها الحمراء، وهي بليدة من المدن القديمة، تقع على تل الصعيد بالجانب الغربي دون قوص يضاف إليها كورة، كورة، وهي اليوم إحدى قرى مركز نجع حمادي بمديرية قنا. انظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مج5، ص420؛ محمد رمزي، **القاموس الجغرافي**، مج5، ق2، ج4، ص199، وتعليقاته على كتاب النجوم الزاهرة، ج8، ص93، حاشية3.

[4] المقريزي، **السلوك**، ج2، ق2، ص317؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج9، ص93.

[5] البرزالي، **المقتفي**، ج1، ق1، ص173؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج7، ص141. ويذكر ابن تغري بردي هذه هذه الحادثة في سنة 665ه.

[6] ابن أيبك الدواداري، **كنز الدرر**، ج8، ص175.

[7] الكَرْكَدَنُّ: هو حيوان شديد القوة، شبيه بالجاموس، وله قرن في جبهته غليظ غير طويل يبلغ شبرين، وهو حاد الرأس إلا أنه ليس بالطويل؛ ويسمي بالحمار الهندي، وبالكركند، وبالحريش، ويوجد ببلاد الهند والصين والحبشة. انظر: النويري، **نهاية الأرب**، ج9، ص315، 316، القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج2، ص37، 38؛ الدميري، **حياة الحيوان**، ج3، ص568-571.

[8] المقريزي، **السلوك**، ج1، ق2، ص621.

[9] المقريزي، **السلوك**، ج1، ق2، ص480، 481.

[10] السنجاب: هو حيوان أكبر من الفأر وشعره في غاية النعومة، وجلده في نهاية القوة، ويتخذ منه الفراء، وهو حيوان شديد الحيل، سريع الحركة، ويتخذ من الأشجار العالية مأوه له. انظر: النويري، **نهاية الأرب**، ج9، (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1933م)، ص278؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج2، ص50؛ محمد بن موسى الدميري، **حياة الحيوان الكبرى**، تحقيق: إبراهيم صالح، (دمشق: دار البشائر، 2005م)، ج2، ص572.

كما وصل رسول صاحب اليمن في يوم السبت مستهل ذي القعدة من نفس السنة، وقدم هداياه للسلطان ومنها: عشرة خيل فحول، وفيل، وكركدن، وثماني نعاج يمنية، وثمانية طيور ببغاء، و40 رماح قنا[2]. محملة على الجمال، فقبل السلطان هداياهم، وأنعم على رسلهم وعليهم[3].

كما أرسل صاحب دنقلة[4] في سنة 704ه/1304م إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون هدية كان فيها أبقار، ونمور[5]. وأرسل ملك اليمن في سنة 711ه/1311م بتقدمة تشتمل على: 200 جمل، و200جمّال، وخيول، ووحوش، وطيور، وفيل صغير ونمرين، وأربعة فهود، ففرقها السلطان على الأمراء الأكابر والأصاغر[6]. وهديته أيضًا في سنة 722ه/1320م وكان فيها وحوش[7]، وهديته في سنة 730ه/1329م وكان فيها فيلين[8]. وكان قد جهز الناصر قبل وفاته لصاحب ماردين[9] هدية وصلت إلى حلب في سنة 741ه/1340م وكان فيها فيل وزرافة[10].

وفي عاشر شعبان سنة 712ه/1312م قدم رسل الأشكري، إمبراطور الدولة البيزنطية، أندرونيقوس الثاني باليولوج Paleologos Andronicus II (1282-1328م)، بتقدمة منها: سنجاب، وخمسة شواهين[11]، وصقور[12] وغير ذلك[13].

كما وصلت هدية الملك السعيد بن خربندا (716-736ه/1316-1335م) ملك التتار في سنة 721ه، وكان من بينها خركاه[1] عظيمة مكللة، وغير ذلك من التحف الجليلة والنفائس، فقبل السلطان الهدية،

---

(1) السناقر ومفردها السُّنْقر: هي أشرف الجوارح، وليس له ذكر في القديم، وتجلب من البحر الشامي، وكان يغالى في ثمانها، وهو معدود في الصقور. انظر: ابن فضل الله العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق: سمير الدروبي، (الأردن: جامعة مؤتة، 1992م)، ص342؛ القلقشندي، ص**بح الأعشى**، ج2، ص59، 60.

(2) القناة وجمعها قنى وقنوات وقُنى وقنا، الرمح. انظر: دراسة نبيل محمد عبد العزيز على كتاب خزانة السلاح، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1978م)، ص37.

(3) النويري، **نهاية الأرب**، ج31، تحقيق: الباز العريني، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992م)، ص126، 127؛ المقريزي، **السلوك**، ج1، ق3، ص729.

(4) دُنْقُلة أو دمقلة، مدينة كبيرة في بلاد النوبة ومنزلة ملكهم، وتقع على شاطيء النيل. انظر: ياقوت، **معجم البلدان**، 470/2.

(5) عماد الدين إسماعيل أبي الفدا، **المختصر في أخبار البشر**، ج4، (القاهرة: المطبعة الحسينية المصرية، 1907م)، ص51.

(6) ابن أيبك الدواداري، **كنز الدرر**، ج9، ص217؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، ق1، ص107؛ العيني، **عقد الجمان**، ج5، ص248.

(7) نبيل عبد العزيز، **رياضة الصيد**، ص123.

(8) محمد بن إبراهيم بن الجزري، **تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه المعروف بتاريخ ابن الجزري**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (بيروت: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت)، ج2، 1998م، ص399، 400.

(9) ماردِين: قلعة مشهورة في الجزيرة الفراتية تُشرف على نصيبين. انظر: ياقوت، **معجم البلدان**، ص39/5.

(10) عمر بن الوردي، **تتمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي)**، (القاهرة: المطبعة الوهبية الزاهية، 1868م)، ج2، ص331.

(11) الشَّواهين والشياهين ومفردها الشاهين: ويقال إنها أسرع الجوارح كلها وأشجعها وأحسنها تقلبًا واقبالًا وإدبارا وأشدها ضراوة على الصيد، إلا أنهم عابوها بالإباق وما يعتريها من شدة الحرص، حتى إنها ربما ضربت نفسها على الغلط من الأرض فماتت. وإنها من جنس الصقر. والشواهين ثلاثة أنواع: وهي شاهين، وأنيقي، وقطامي. انظر: كشاجم محمود بن الحسن، **المصايد والمطارد**، تحقيق: محمد أسعد طلس، (بغداد: مطبوعات دار اليقظة، 1954م)، ص78-83؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج10، ص200-204؛ العمري، **التعريف بالمصطلح**، ص345؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج2، ص58، 59؛ الدميري، **حياة الحيوان**، ج2، ص614-616.

(12) الصقر ويجمع على أصقر وصقور وصقورة ثلاثة أصناف وهي: صقر، وكونج، ويؤيؤ. والعرب تسمي هذا النوع الحر؛ ويقال له: الأكدر، والأجدل، وبغال الطير؛ لأنها أصبر على الأذى، وأحمل لغليظ الغذاء، وأحسن ألفا، وأشد إقداما على جلة الطير، وتسمي كل طائر يصيد صقرًا، ما خلا النسر والعقاب. انظر: كشاجم، **المصايد**، ص84 وما بعدها؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج10، ص195-200؛ العمري، **التعريف بالمصطلح**، ص343، 344؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج2، ص60، 61.

(13) ابن أيبك، **كنز الدرر**، ج9، ص245؛ المفضل بن أبي الفضائل، **النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد**، (باريس: نشر E. Blochet، 1985م)، ج3، ص229؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، ق1، ص120، حاشية4.

وجهز له هدية تليق به[2] . وهديته التي أرسلها في سنة 729ه/1328م، كان فيها أربعة عشر من الخيول، وعشرة طيور[3].

وهدية الملك أزبك بن طقطاي القان صاحب بلاد المشرق (ت 742ه/1342م) في سنة 724ه/1323م وكان فيها سنقران[4]، وهدية أبي سعيد بن أحمد المريني في سنة 733ه/1332م وكان فيها ثلاثة فهود[5]، وهدية الحرة ابنة السلطان أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب المريني في رمضان سنة 738ه/1337م، وكان فيها 400 فرس، واثنان وثلاثون بازًا[6]، وهدية أرتنا صاحب الروم (ت753ه/1352م) في سنة 740ه/1339م وكان فيها خركاه، وأربعة سناقر[7]، وعشرة بزاة، وعشرة صقور[8].

أما السلطان الصالح إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون (ت746ه/1345م) قد أنعم على صاحب ماردين بخيل. فرد عليه الأخير بهدية كان فيها سناقر، وكان بصحبتها جواب كتب إلى السلطان من نائب الشام يتضمن اعتذاره عن الكوهية[9] التي ادخرها فنفقت[10].

وهدية رسل السلطان جانبك بن أزبك بن طقطاي التتاري في سنة 758ه/ 1356م إلى السلطان الناصر حسن وكان فيها فرو سمور، وطيور جوارح[11]. وما أحضرته رسل صاحب اليمن في سنة 767ه/1366م إلى السلطان الأشرف شعبان من هدايا كان فيها فيل[12].

10- كان خروج السلطان لسرحاته أحيانًا لحماية حياته ضد الأوبئة والطواعين: فقد كان خروج السلطان أحيانًا إلى سرياقوس في سرحات النزهة وعلى العادة الجارية منذ عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون، لتجنب الطواعين التي تفشت في القاهرة، فقد أشير على السلطان حسن بن الناصر محمد بعدم العودة إلى القلعة، وكان في عهده قد تفشى الطاعون، فبقي في سرياقوس من أول شهر رجب عام 748ه ولم يطلع إلى القلعة حتى انقضاء شهر رمضان[13].

ثانياً: الآثار الاقتصادية لرحلات صيد سلاطين دولة المماليك البحرية.

1- رواج تجارة طيور وحيوانات الصيد وتربيتها.

كان لاهتمام سلاطين المماليك بالصيد وسرحاته دورًا في روج تجارة طيور وحيوانات الصيد، فكانت تجلب من خارج مصر، كما تم تصديرها من مصر إلى البلاد المجاورة، فبجانب تربية طيور الصيد، قام سلاطين المماليك بشرائها أيضا، وقبول التقدمة منها، والتهادي بها، وكان يتم الشراء إما من

---

(1) الخركاه جمعها خركاهات، لفظ فارسي معناه الخيمة الكبيرة تكون على هيئة القبة، وهي بيت من خشب مصنوع على هيئة مخصوصة ويغشى بالجوخ ونحوه. تحمل في السفر لتكون في الخيمة للمبيت في الشتاء لوقاية البرد. انظر: العمري، **التعريف بالمصطلح**، ص315، 316؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج33، ص14، حاشية4؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج2، ص131.

(2) النويري، **نهاية الأرب**، ج33، ص14.

(3) ابن أيبك، **كنز الدرر**، ج9، ص351.

(4) نبيل عبد العزيز، **رياضة الصيد**، ص99.

(5) نبيل عبد العزيز، **رياضة الصيد**، ص123.

(6) المقريزي، **السلوك**، ج2، ق2، ص447؛ نبيل عبد العزيز، **رياضة الصيد**، ص99.

(7) من الطيور الجوارح الخاصة بالصيد، وكان غالي الثمن للغاية، فلم يكن يشتريه غالباً إلا السلطان، وكان يتجمل به في المواكب، ويأتي من بلاد الفرنج. انظر: القلقشندي، **صبح الأعشى**، 30/2 .

(8) المقريزي، **السلوك**، ج2، ق2، ص490.

(9) الكوهية، وهو دون الصقر، موشي بالبياض والسواد، يخالط ذلك صفرة، وهي تجلب من البحر. انظر: ابن شاهين الظاهري، **زبدة كشف الممالك**، ص126؛ نبيل عبد العزيز، رياضة الصيد، ص88.

(10) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج9، ص108، 110، 111.

(11) المقريزي، **السلوك**، ج3، ق1، ص34.

(12) المقريزي، **السلوك**، ج3، ق1، ص123.

(13) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج10، ص204؛ نهلة مصطفى، **سرحات الصيد**، ص477.

أسواقها بالبلاد، أو من تجّارها الواصلين بها إلى البلاد[1]. فكان يجلب التجار لهم سائر أنواع الجوارح الصائدة على اختلاف أجناسها من أقاصي البلدان، ويتغالوا في أثمانها[2]. وكان يستعملها السلاطين للاصطياد بها، ومن أشهرها: السنقر الذي وصل ثمنه إلى ألف دينار، ثم تناقص حتى استقر إلى خمسة آلاف درهم. حتى أن التجار إذا حملوه وأتوا به من بلاد الفرنج، فمات منهم في الطريق قبل وصولهم أحضروا ريشه إلى أبواب الملوك، فيعطون نصف ثمنه إذا أتوا به حيا؛ كل ذلك ترغيبا لهم في حملها ونقلها إلى الديار المصرية. ولذا كان لا يشتريه غير السلطان، ولا يلعب به غيره من الأمراء، إلا من أنعم السلطان عليه به[3]. كما استعمله السلاطين للتجمل به في مواكبهم، فقد سأل الأمير حسام الدين طرنطاي السلطان الناصر محمد بن قلاوون أن يأخذ سنقره ليتجمل به أثناء توجه لحصار سنقر الأشقر بصهيون[4].

ومن الطيور الجوارح أيضًا التي جلبت إلى مصر: العديد من أجود العقبان من سُرت[5] وبلاد المغرب[6]، وجلبت أيضًا من جزر البحر المتوسط وجلب معها البزاة والصقور والشواهين والكواهي[7]، والكواهي[7]، أما الغطريل[8] فقد جلبت من بلاد الخزر وخوارزم وأطراف أرمينية وجبالها[9].

ومن أشهر السلاطين الذين جلبوا الطيور الجوارح من الصقورة والشواهين والسناقر السلطان الناصر محمد بن قلاوون، والذي ترك منها بعد وفاته ما لا ينحصر كثرة ومنها 120 سنقرًا لم يعهد بمثل هذا لملك قبله؛ وصار كل أمير عنده منها حوالي عشرة سناقر، في حين كان لوالده الملك المنصور قلاوون سنقر واحد [10].

كما تغالت سلاطين المماليك في طلب طائر الكركي[11]، وأنفقوا في ذلك الأموال الجمة الكثيرة، وكان لهم من علو الشأن بذلك ما لا يكون لغيرهم، وكان هذا الطائر من صيدهم، وأكله حلال[12].

ومن الطيور التي تغالى الناس به أيضًا، وكانوا يجعلونه في بيوتهم[13]؛ طائر الأنيس - وتسميه الرماة الأنيسة- الذي يعتبر من أشرف طيور الواجب وأعزها وجودًا[14].

لذا فمع كثرت جلب الملوك والناس للجوارح والطيور أدى ذلك إلى إنشاء الأحواش والشكارخاناه[15]، بحيث صار بكل إقليم من أقاليم مصر حوش يشتمل على عدة شباك وصيادون يصطادون من جميع أصناف الطير[1].

---

[1] نبيل عبد العزيز، **رياضة الصيد**، ص96.

[2] القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج3، ص314.

[3] النويري، **نهاية الأرب**، ج10، ص205؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج2، ص60.

[4] المقريزي، **السلوك**، ج2، ق2، ص531.

[5] سُرت: مدينة كبيرة تقع على ساحل البحر المتوسط، بين برقة وطرابلس الغرب، ومن ناحية الجنوب في البر أجدابية ومنها يقصد إلى طرابلس الغرب. انظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج3، ص206، 207.

[6] النويري، نهاية الأرب، ج10، ص183.

[7] محمد بن القاسم بن محمد النويري الإسكندراني، **الإلمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الإسكندرية**، (القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2010م)، مج2، ج4، ص7.

[8] الغطريل: طائر من الجوارح عزيز الوجود، وهو أكبر حجمًا من البازي التام، ويصيد هو والشاهين بدون خطأ. انظر: نبيل عبد العزيز، **رياضة الصيد**، ص89.

[9] الحسن بن عبد الله، **آثار الأول**، ص272، 273.

[10] ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج9، ص170.

[11] الكُرْكِي جمعها كَراكيّ، طائر كبير معروف، ومن طبعه الحذر والتحارس بالنوبة، ويطير في جماعات. انظر: الدميري، **حياة الحيوان**، مج3، ص572، 573.

[12] القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج2، ص63، ج5، ص113.

[13] النويري، **نهاية الأرب**، ج10، ص238.

[14] القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج2، ص66؛ محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي، **المستطرف في كل فن مستظرف**، (بيروت: المكتب العالمي للبحوث، منشورات دار مكتبة الحياة، 1992م)، مج2، ص113.

[15] الشكارخاناه، هي البيت التي تتعلق بالطيور، والمتكلم عليها أمير شكار، وكان بهذا البيت جميع الآلات التي تتعلق بالطيور الجوارح وطيور الواجب، التي كان لها جرائد بديوان الشكارخاناه، ولها جماعة حوندارية ومعلمين وطعمدارية

أما عن الأسواق الداخلية ونتاج مصر من الطيور:

فقد عرف بمصر سوق يعرف بسوق الدجاجين، فيذكر المقريزي هذا السوق وما به من الطيور المباعة وتنافس الناس على شراءها فيقول:" سوق الدجاجين: الذي يباع فيه من الدجاج والأوز شيء كثير جليل إلى الغاية، وفيه حانوت فيه العصافير التي يبتاعها ولدان الناس ليعتقوها ... وكان يوجد في كل وقت بهذه الحوانيت من الأقفاص التي بها هذه العصافير آلاف، ويباع بهذا السوق عدّة أنواع من الطير، وفي كل يوم جمعة يباع فيه بكرة أصناف القماري والهزارات والشحارير والببغاء والسمان، وكنّا نسمع أن من السمان ما يبلغ ثمنه المئات من الدراهم، وكذلك بقية طيور المسموع يبلغ الواحد منها نحو الألف، لتنافس الناس فيها وتوفر عدد المعتنين بها ... سيما الطواشية، فإنه كان يبلغ بهم الترف أن يقتنوا السمان ويتأنقوا في أقفاصه ويتغالوا في أثمانه، حتى بلغنا أنه بيع طائر من السمان بألف درهم فضة، عنها يومئذ نحو الخمسين دينارا من الذهب، كل ذلك لإعجابهم بصوته... وكلما كثر صياحه كانت المغالاة في ثمنه"[2].

كما تم الاهتمام بعملية التخريج، وهو أسلوب نجحت فيه المعامل المصرية وهي: "معامل كالتنانير يعمل بها البيض بصنعة، يُوقد عليه فيُحاكي نار الطبيعة في حضانة الدجاجة لبيضها، ويخرج من تلك المعامل الفراريج، وهي معظم دجاج مصر، ولا يتم عمل هذا بغير مصر"[3]، وكانت تسمى هذه المعامل بمعمل الفروج[4].

وتم أيضًا توليد الحيوانات المجلوبة من خارج مصر، ومثال ذلك ما حدث في عصر الظاهر بيبرس، ففي جمادي الآخرة سنة 671ه/1272م، تم توليد زرافة بقلعة الجبل، وأرضع ولدها لبن بقرة[5].

وأصبح نتاج مصر من الجوارح والكلاب المعلمة على الصيد، والبغال، والخيل المدربة نتاجًا عجيبًا بحيث "ارتفع أقدارها وتغالى في أثمانها؛ لامتيازها بالفضائل المكتسبة"[6]، وقد تم تصديرها إلى بلدان الشرق والغرب[7].

ولعله من الآثار المترتبة على الصيد تواجد تجارة لبيع الفراء المستخرجة من الحيوانات التي تصاد؛ فقد كان يتخذ نفيس الفراء من حيوان السمور، التي لا يلبسها إلا الملوك وأكابر الأعيان ممن يداني الملوك لحسنها ودفئها، وأحسنه ما كان منه شديد النعومة مائلًا إلى السواد، وقد انتشرت الملابس المصنوعة بين ملوك وأمراء المماليك، وكان يتخذ من جلد دويبة الفنك الفراء[8]، الذي كان يجلب من بلاد الصقالبة، كما كان يتخذ أيضًا الفراء من دويبة القاقم[9]، ومن دويبة الدلق[10]. أما حيوان السنجاب فقد

وبازدارية.ويضبط جميع تعلقات الشكارخاناه؛ ديوان الأحواش الذي له ناظر وعدة مباشرين. انظر: ابن شاهين الظاهري، **زبدة كشف الممالك**، ص110، 126، 127؛ نبيل عبد العزيز، **رحلات الصيد**، ص57.

(1) ابن شاهين الظاهري، **زبدة كشف الممالك**، ص128، نبيل عبد العزيز، **رياضة الصيد**، ص101.

(2) المقريزي، **الخطط**، مج3، ص320، 321.

(3) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ص18؛ المقريزي، **الخطط**، مج1، ص69؛ جلال الدين السيوطي، **حسن المحاضر في تاريخ مصر والقاهرة**، ج2، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية، ، عيسى البابي الحلبي وشركاءه، (القاهرة، 1967م)، ص333. وحول هذه المعامل ووصفها بالتفصيل انظر: عبد اللطيف البغدادي، **رحلة عبد اللطيف البغدادي في مصر أو كتاب الافادة والاعتبار في الأمور والمشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر**، أشرف على إعداد هذه الطبعة عبد الرحمن عبد الله الشيخ، ط2، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م)، ص80-83.

(4) البغدادي، **رحلة**، ص80.

(5) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج7، ص157.

(6) النويري الإسكندراني، **الإلمام**، مج2، ج4، ص4، 5، مج3، ج5، ص386.

(7) السيوطي، **حسن المحاضرة**، ج2، ص327.

(8) الفَنَك، دويبة يؤخذ منها الفرو، وهو أطيب من جميع الفراء، يجلب كثيرا من بلاد الصقالبة. انظر: الدميري، **حياة الحيوان**، مج3، ص420..

(9) القاقُم، دويبة تشبة السنجاب، أبيض، ويشبه جلده جلد الفتنك، وهو أعز قيمة من السنجاب. انظر: الدميري، **حياة الحيوان**، مج3، ص461.

(10) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج2، ص49، 50؛ نبيل عبد العزيز، **رياضة الصيد**، ص120.

تميز بجلده القوي، لذا اتخذ منه الفراء النفيس التي يلبسها أعيان الناس ورؤسائهم، وكان يكثر ببلاد الفرنج والصقالبة والخرز[1].

2- واكب رحلات صيد السلاطين بعض الأعمال العمرانية، فقد كان من فوائد مداومة السلاطين على الصيد، كما يبين ذلك ابن المنكلي: "تبينه في الصحاري مواقع العمارة في بلاده من الزيادة والنقصان، فإن رأى في ذلك ما يسره بعثه الاغتباط على الزيادة فيه، وإن رأى ما ينكره جرد عنايته ولم يستتر عنه ذلك؛ فرأس الملك العمارة"[2]. ومن ذلك إحياء بعض الأرض الموات أو استرجاع بعض غامر الأرض وتحويله إلى عامر الأرض، فما استجده الظاهر بيبرس في مربوط من إقامة بستان للفواكة وقد صار للمظفر بيبرس الجاشنكير ووقفه على الجامع الحاكمي، وظل حتى عهد السلطان شيخ المحمودي في سنة 821ه الذي أمر بجديد عمارته[3].

ومن ذلك أيضًا، ما قام به المنصور قلاوون من حفر لخليج الطيرية[4] عام 682ه[5]، بعد أن أصبحت الأراضي الهامشية لحوف رمسيس في إطار المراعي لقلة ما يصله من ماء النهر، ويرجّح عبد العال الشامي أن مثل هذه المشروعات التعميرية، والتعرف عن قرب على مثل هذه المشكلات من ثمار السرحات السلطانية في تلك النواحي[6].

كما استجدت في أيام الناصر محمد بن قلاوون عدة أراضي بالشرقية ونواحي فوة وغيرها، وكانت قبل ذلك خرابًا لا ينتفع بها، وعمل أيضًا سداً بشبين القصر، وجسرًا خارج القاهرة، فعمرت بذلك العديد من البساتين بجزيرة الفيل، "كما أُحكم أراضي مصر قبليها وبحريها بالترع والجسور حتى أتقن أمرها، وكان يركب إليها برسم الصيد كل قليل، ويتفقد أحوالها بنفسه، وينظر في جسورها وتراعها وقناطرها، ويتفقد مصالح البلاد"[7].

ولما كانت بعض السرحات السلطانية تعاني من مشكلات المياه العذبة، فقد نتج عن ذلك حفر السلاطين للآبار بها وعمارتها وتطهيرها[8]، ومن ذلك ما قام به الظاهر بيبرس أثناء سرحته في 6 شوال شوال سنة 661ه في تروجة وبواديها، حيث أمر بإحضار الرجال لحفر الآبار ونزحها من الأكدار[9]. وفي العام التالي في شهر شعبان من سنة 662ه أمر الظاهر بتكملة بئر الليونة قريب الإسكندرية[10]. كما أنشأ ببستان مربوط بئر لا نظير لها في الكبر، وعليها عدة سواقي من جوانبها[11].

أما عن أمثلة البناء المعماري في مناطق السرحات فمنها ما تم عندما اجتاز السلطان بيبرس وادي السدير قريب العباسية في صفر سنة 666ه، أعجبه المكان فأختار منه مكانًا بنى فيه قرية سماها الظاهرية، وعمر بها جامعًا[12] .

ومن ذلك أيضًا، بناء السلطان الناصر محمد بن قلاوون للخانقاه الناصرية بسرياقوس شمالي بركة الجُب سنة 723ه، بعد عودته من سراحته للصيد بها، وصارت نواة لمدينة الخانقاه التي نمت وازدهرت

---

(1) النويري، **نهاية الأرب**، ج9، ص278؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج2، ص50.
(2) ابن المنكلي، **أنس الملا**، ص19.
(3) ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، ج3، ص176؛ عبد العال الشامي، **السرحات السلطانية**، ص159.
(4) كانت ترعة الطيرية تخرج من النيل قرب قرية مسماة بهذا الاسم وهي الآن ترعة الحاجر، وهي قرية تعرف بهذا الاسم إلى الآن، وهي تابعة لمركز كوم حمادة بحيرة. انظر: محمد رمزي، **القاموس الجغرافي**، مج3، ق2، ج2، ص333؛ ابن عبدالظاهر، **تشريف الأيام**، ص24، هامش2.
(5) ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام**، ص24.
(6) عبد العال الشامي، **السرحات السلطانية**، ص160.
(7) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج9، ص191، 192.
(8) عبد العال الشامي، **السرحات السلطانية**، ص160.
(9) ابن عبد الظاهر، **الروض الظاهر**، ص174، 175.
(10) ابن عبد الظاهر، **الروض الظاهر**، ص187.
(11) ابن حجر العسقلاني، **إنباء الغمر**، ج3، ص176.
(12) ابن عبد الظاهر، **الروض الظاهر**، ص291؛ المقريزي، **السلوك**، ج1، ق2، ص564.

فيما بعد في ظل السرحات السلطانية السنوية إليها خاصة زمن الناصر وأولاده، وامتدت العناية بالخانقاه إلى الأمراء الملازمين للسلاطين كذلك. كما بنى مثلها في شرقي سرياقوس[1].

واعتبر السلطان الناصر محمد بن قلاوون من أكثر السلاطين انشاء للأحواش ومن ذلك مثلًا: بنائه مصطبة برسم طيور الصيد بالقرب من بركة الحبش، وصار ينزل إليها، ثم تركها في سنة 720ه[2]، وعندما نزل لصيد الكراكي من بركة الحاج سنة 721ه، تقدم لكريم الدين الكبير أن يعمل بها أحواشًا للخيل والجمال وميدانًا، ويبني الأمير بكتمر الساقي مثل ذلك، "فجمع كريم الدين من الرجال نحو ألفي رجل ومائة زوج من البقر حتى فرغ في أيام يسيرة، وجعل في الميدان عدة من الحجور[3] المستولدة، وركب السلطان لمشاهدة ذلك، واستمر يتعاهد الركوب إليه"[4] .

وواكب السرحات السلطانية أيضًا العناية بالطرق التي يسلكها السلطان في سرحاته، ومن ذلك عناية السلطان الناصر محمد بن قلاوون بقناطر جسر الجيزة الواصل بين مدينة الجيزة والأهرام، والذي يسير فوق القناطر المقامة على بركة منشية نهيا، وكانت من أماكن السرحات [5]. ولحبه الزائد للأوز سمى القناطر التي بناها في سنة 725ه على الخليج الكبير بقناطر الأوز، والتي اعتبرت من أحسن متنزهات القاهرة[6].

3- لكن بالرغم من الآثار الإيجابية الاقتصادية التي واكبت رحلات صيد السلاطين، كان لها تأثير سلبي على اقتصاد البلاد ومن ذلك:

على الرغم من أنه، وفي بعض الأحيان، كان يتبع رحلات صيد السلاطين وسرحاتهم تفريجاً على الناس، فعندما خرج السلطان المنصور قلاوون في شهر رجب سنة 682ه إلى جهة المرج للصيد، بذل الخِلَع والإنعام. فعمت هباته ومعروفه جميع الناس، وما بقي من لا وصله إنعام أو بر، وأقام كذلك مدة مقامه في الشام وخروجه إلى متصيداته في عدة جهات[7] . وقد يفسر هذا بأن السلطان يريد إنفاق الأموال الأموال على الناس وتخفيفاً عليهم من أعباء الحياة.

وعند خروج السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة 721ه إلى الصيد، توقف حال الناس في أمر الفلوس لكثرة الزغل (الزيف) فيها وتحسنت البضائع. فلما عاد صيده رسم أن تكون الفلوس بالميزان، بعدما ضرب كثيرًا من الباعة[8] . كما كان يستمع لشكاوى الفلاحين التي تعتمد عليهم الزراعة بالقرى الخاصة به، وإقطاعات الأمراء.

ولكن رغم هذا فقد فسدت غلات القرويين؛ نتيجة دخول خيول السلطان وأتباعه في أراضي الفلاحين عند مطاردة الصيود، فكان يعالج السلطان ذلك "بأن يؤمر لهم بما يلم شعث أحوالهم ويرد ما ذهب من أموالهم"[9]. فكانت العادة إذا خرج السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون إلى سرحة سرياقوس للصيد؛ يقلق الناس بها من كثرة الحداء والغربان، وتحليقها على ما هناك من اللحوم

---

(1) المقريزي، **الخطط**، ج4، ص767؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج9، ص79؛ عبد العال الشامي، **السرحات السلطانية**، ص39، 161.

(2) المقريزي، **الخطط**، مج3، ص375؛ نبيل عبد العزيز، **رياضة الصيد**، ص102.

(3) الحجورة والحجور والأحجار (مفردها حجر): وهي الأنثى من الخيل. انظر: تعليقات محمد مصطفى زيادة على كتاب المقريزي، **السلوك**، ج2، ق1، ص210؛ حاشية4.

(4) المقريزي، **السلوك**، ج2، ق1، ص230، 231.

(5) عبد العال الشامي، **السرحات السلطانية**، ص163.

(6) المقريزي، **الخطط**، مج3، ص495؛

(7) ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام**، ص26؛

(8) المقريزي، **السلوك**، ج2، ق1، ص233؛

(9) الحسن بن عبد الله، **آثار الأول**، ص267، نبيل عبد العزيز، **رياضة الصيد**، ص78.

الكثيرة[1]. وعندما خرج الأمير تنكز الحسامي لسرحته إلى حلب في شعبان وعوده من متصيده في رمضان من سنة 739ه/1338م "لحق بالفلاحين والرعية خلالها كلفة وضرر كبير"[2].

ولا ريب أن مبالغة السلاطين في رعاية الطيور، والبذخ الكثير على رحلات الصيد والإنعامات المقدمة للأمراء قد أرهقت خزينة الدولة، فعندما خرج السلطان الناصر قلاوون إلى البحيرة للصيد في سنة 703ه، واستدعى شهاب الدين أحمد بن عبادة، وطلب منه دراهم يشتري بها هدية من الإسكندرية، فلم يجد عنده من مال السلطان ما يكفيه، فبعثه ليقترض من تجار الإسكندرية مبلغًا، ولذلك ليشتري به هدية لجواريه ونسائه. فاجتمع ابن عبادة بالوزير ابن الشيخي، فقال له الأخير: "ارجع، وأنا غدا عند السلطان بألفي دينار"، فقدم الوزير بالمبلغ وقدمه للسلطان، كما أحضر بعد ذلك مال كثير وكساو جليلة"[3]، وهذا يبين كم الإسراف الذي يصاحب مثل هذه الرحلات.

وكان السلطان الصالح عماد الدين إسماعيل بن الناصر محمد مُسرفاً في رحلات صيده، وقد ذكرنا ذلك سابقاً، فعندما كان يركب إلى سرحة سرياقوس أو سرحة الأهرام تركب أمه في مائتي إمرأة الأكاديش، بثياب الأطلس الملون، وعلى روسهن الطراطير الجلد البلغاري المرصع بالجواهر واللآلئ، وبين أيديهن الخدام الطواشية، من القلعة إلى السرحة. ثم يركب حظاياه الخيول العربية، ويتسابقن ويركبن تارة بالكامليات الحرير، ويلعبن بالكرة[4] .

وعندما خرج السلطان الناصر حسن بن قلاوون إلى سرياقوس سنة 755ه، ومعه والدته وحرمه وجميع الأمراء؛ "كثر لهوه ولعبه، وأصرف مالًا في غير مستحقه"[5] .

وقد ارتبطت زيادة عدد جوق الكلاب[6] بالحالة الاقتصادية لمصر، نظرًا لأهميتها في الصيد والتلهي؛ فجاء ترتيبها في المواكب السلطانية بعد الجوارح، وكانت تسير في المواكب وعلى أجسامها أجلة الحرير المطرزة بطرز الذهب[7]، وقد بلغ عدد جوق الكلاب أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون 80 جوقة كلاب بكلابزيتها، وكان قد أخلى لها موضعًا بقلعة الجبل[8]، ثم أصبحت بعده 50 جوقة، حتى جعلها السلطان حسن بن محمد بن قلاوون جوقتين فقط من باب التوفير وذلك في سنة 748ه/1347م[9].

وكان حب السلطان الناصر قلاوون للأوز سببًا في غلاء البقل الأخضر الذي يشترى لفراخ الأوز، فبلغ في كل يوم خمسين درهمًا، عنها زيادة على مثقلين من الذهب[10].

وعلى الرغم من وجود ديوان الخاص المسؤول عن توفير الهدايا وضبط ما يصل إلى الخزانة من تقادم الملوك والنواب[11]. إلا أنه كانت للسلطان اليد الطولى في الخلع والتشاريف والإنعام، حتى بقى بابه سوقًا ينفق فيه كل مجلوب، ويحضر الناس إليه من كل قطر حتى كاد ذلك ينهك المملكة ويودي بمتحصلاتها عن آخرها[12]. ومن ذلك أيضًا ما كان يقدّمه السلطان من انعامات للأمراء في أسفارهم في وقت خروجهم إلى الصيد[13]. ومن أمثلة ذلك كثير، كما ورد ذكره سابقاً.

---

(1) المقريزي، **السلوك**، ج2، ق3، ص784، 785.
(2) أبي الفدا، **المختصر**، ج4، ص130.
(3) المقريزي، **السلوك**، ج1، ق3، تحقيق محمد مصطفى زيادة، ص955؛
(4) المقريزي، **السلوك**، ج2، ق3، ص678، 679.
(5) ابن شاهين الظاهري، **نيل الأمل**، ق1، ج1، ص270،271.
(6) جوقة كلاب، سرب من كلاب الصيد. انظر: دوزي، **تكملة المعاجم العربية**، ج2، ص350.
(7) النويري **الإسكندراني**، الإلمام، مج3، ج5، ص380؛ **نبيل عبد العزيز**، رياضة الصيد، ص115.
(8) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج9، ص170؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، ق2، ص531.
(9) المقريزي، **السلوك**، ج2، ق3، ص749.
(10) المقريزي، **الخطط**، مج3، ص742.
(11) النويري، **نهاية الأرب**، ج8، ص214، 215؛ ابن شاهين الظاهري، **زبدة كشف الممالك**، ص108؛
(12) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، ص52.
(13) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، ص55.

بل كان من عادة السلطان إذا مرّ في متصيداته بإقطاع أمير كبير، قدم له الأخير من الغنم والإوز والدجاج وقصب السكر والشعير وغيرها، فيقبله السلطان منه، وينعم عليه بخِلْعَة كاملة، وربما أمر لبعضهم بمبلغ من المال، والتي عرفت باسم "رسم الضيافة"[1]، وكان لهذا البذخ من الأمراء أثر بلا شك على عامة الناس بما يفرضوه عليهم، نظير ما قدموه للسلطان في رحلة صيده[2].

هذا بجانب البذخ والإسراف الذي كان يحدث في الحفلات والمهرجانات التي كانت تقام بعد عودة السلطان من رحلة صيده، وأيضًا أثناء استقباله عند وصوله لسرحته، فقد كانت تزيّن له المدينة ويقوم بعض الأغنياء من التجار بنثر الذهب على رأس السلطان، وهو ما يدفع الناس للخروج لاستقباله، وربما يعود بذلك على الأغنياء بالخلع والمنح والعطايا من السلطان[3]. وبالطبع ترتب على ذلك أعباء جديدة على الناس.

الخاتمة:

وهكذا فقد تبين من خلال هذه الدراسة أهمية رحلات صيد سلاطين المماليك البحرية وماترتب عليه من آثار عميقة شملت مختلف نواحي الحياة في دولة المماليك البحرية.

فمن الناحية السياسية كان لها بعض الآثار الإيجابية الواضحة حينما يتم الالتزام بالآداب والتنظيمات المرعية الخاصة بحماية السلطان وأمنه، وحينما تهمل هذه الآداب والتنظيمات يكون أثر هذه الرحلة وبالاً على السلطان بشكل خاص وعلى الدولة المملوكية بشكل عام وقد يكون لها تبعات أمنية خطيرة.

ومن الناحية الاقتصادية فقد ترتب على رحلات صيد سلاطين المماليك البحرية آثار اقتصادية مهمة لعل من أبرزها الإنفاق الكبير على هذه الرحلات مما أرهق خزانة الدولة إضافة إلى بعض الضرر الذي كان يلحق الفلاحين، ولكن هذا الانفاق وهذه الرحلات كان لها بعض الاثار الاقتصادية الإيجابية مثل ازدهار النشاط التجاري الخاص بتوفير متطلبات هذه الرحلات من طيور وتجهيزات خاصة بالصيد أو السفر بشكل عام وانتعاش الأسواق في مصر وارتفاع سمعتها في ذلك العصر.

---

[1] العمري، **مسالك الأبصار**، ص31؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، ص63؛ المقريزي، **الخطط**، مج3، ص632؛ نبيل عبد العزيز، **رياضة الصيد**، ص36.

[2] منصورة خلف صلاح الدين، **سرحات السلاطين والآمراء الآقليمية ومتنزهاتها بمصر في العصر المملوكي (648-923ه/1250-1517م)**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة جنوب الوادي، مصر، 2012م، ص194.

[3] منصورة صلاح الدين، **سرحات السلاطين**، ص182.

قائمة المصادر والمراجع

المخطوطات:

- خليل بن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، مخطوط رقم 2990 مكتبة أحمد الثالث، استانبول.
- القاسم بن علي الزينبي، كتاب القوانين السلطانية في الصيد، مخطوط رقم 3508، (مكتبة فاتح: تركيا).

المصادر:

- الأبشيهي، محمد بن أحمد بن منصور (ت. 854ه)، المستطرف في كل فن مستظرف، المكتب العالمي للبحوث، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1992م.
- ابن الأثير، الجزري (ت. 606ه)، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت،
- الأصفهاني، عماد الدين (ت. 597ه)، الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمد محمود صبيح، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2003م.
- ابن إياس، محمد بن أحمد (ت: 927هـ)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج4، اعتناء محمد مصطفى وآخرون، مطبعة الدولة، إستانبول، 1931م.
- ابن أيبك الدواداري، أبي بكر بن عبد الله (ت. بعد 736ه): كنز الدرر وجامع الغرر، المعهد الألماني للآثار، القاهرة، ج8 (الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية)، تحقيق أولرخ هارمان، 1971م، ج9 (الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر)، تحقيق هانس روبرت رويمر، 1960م.
- البغدادي، عبد المؤمن بن عبد الحق (ت. 739ه)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، 1954م.
- البغدادي، عبد اللطيف (ت. 629ه)، رحلة عبد اللطيف البغدادي في مصر أو كتاب الافادة والاعتبار في الأمور والمشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، أشرف على إعداد هذه الطبعة عبد الرحمن عبد الله الشيخ، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998م.
- بيبرس المنصوري، (ت. 725ه):

- التحفة الملوكية في الدولة التركية، نشره عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1987م.
- زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق دونالد س. ريتشاردز، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، 1998م.

- ابن تغري بردي، يوسف أبو المحاسن (ت. 874ه):

- الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق فهيم محمد شلتوت، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1979م.
- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984م.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2008م. (طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية).

- ابن الجزري، محمد بن إبراهيم بن أبي بكر (ت. 738ه)، تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه المعروف بتاريخ ابن الجزري، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، 1998م.
- ابن الجيعان، يحيى بن المقر (ت. 885ه)، التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1974م.
- ابن حبيب، الحسن بن عمر بن الحسن (ت. 779ه):

- تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، ج2، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1982م.

- درة الأسلاك في دولة الأتراك، تحقيق محمد محمد أمين، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2014م.
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد (ت. 852ه):
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبدالمعيد ضان (حيدر آباد، ، مجلس دائرة المعارف الثعمانية، 1392هـ/1972م).
- إنباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، 2014م.
- الحسن بن عبد الله العباسي، آثار الأول في ترتيب الدول، تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، 1989م.
- الحسيني، شمس الدين (ت. 765ه)، ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي، تصحيح محمد زاهد الكوثري، دمشق، 1928م.
- الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت. 626ه)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م.
- الدميري، محمد بن موسى (ت. 808ه) حياة الحيوان الكبرى، ج2، تحقيق إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق، 2005م.
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت. 748ه)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003م.
- ابن سباط، حمزة بن أحمد بن عمر (ت. 926ه)، صدق الأخبار (تاريخ ابن سباط)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، طرابلس، لبنان، 1993م.
- السبكي، عبدالوهاب (، **معيد النعم ومبيد النقم**، تحقيق: محمد علي النجار وآخرون، (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1413هـ/1993م).
- السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت. 902ه)، وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، ج1، تحقيق بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1995م.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت. 911ه)، حسن المحاضر في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاءه، القاهرة، 1967م.
- ابن شداد، محمد بن علي (ت. 684ه)، تاريخ الملك الظاهر، باعتناء أحمد حطيط، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2009م.
- الصفدي، خليل بن أيبك بن عبد الله (ت. 764ه)، الوافي بالوفيات، فرانز شتايز شتوتغارت، المعهد الألماني، بيروت، باعتناء: ج2، س. ديدرينغ، 1991م، ج4، ط2، س. ديدرينغ، 1974م، ج6، ط3، س. ديدرينغ، 1991م، ج7، ط3، إحسان عباس، 1991م، ج8، ط2، محمد يوسف نجم، 1982م، ج9، ط3، يوسف فان إس، 1991م، ج10، ط2، جاكلين سُوبله وعلي عمارة، 1991م، ج16، ط2، وداد القاضي، 1991م، ج19، رضوان السيد، 1993م، ج21، ط2، محمد الحجيري، 1991م، ج24، محمد عدنان البخيت ومصطفى الحياري، 1993م.
- الصيرفي، علي بن داود (ت. 900ه) نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق حسن حبشي، دار الكتب، 1970م.
- ابن شاهين الظاهري، خليل (ت. 873ه)، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، اعتنى بتصحيحه بولس راويس، ط2، دار العرب للبستاني، القاهرة، 1988-1989م.
- ابن شاهين الظاهري، عبد الباسط بن خليل (ت. 920ه)، نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، 2002م.
- ابن عبد الظاهر، عبد الله (ت. 692ه):
- تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق مراد كامل، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، 1961م.
- الروض الظاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبد العزيز الخويطر، الرياض، 1976م.

- العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله (ت. 749ه):
  - مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (ممالك مصر والشام والحجاز واليمن)، تحقيق أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1985م.
  - التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق سمير الدروبي، جامعة مؤتة، الأردن، 1992م.
- العيني، بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى (ت. 855ه)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق محمد محمد أمين، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2010م.
- أبو الفدا، إسماعيل بن علي بن محمود (ت. 732ه)، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، 1907م.
- ابن أبي الفضائل، المفضل (ت. 759ه)، النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، ج3، نشر E. Blochet، باريس، 1985م.
- ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد (ت.851ه)، تاريخ ابن قاضي شهبة، تحقيق عدنان درويش، المعهد الفرنسي للدراسات العربية-بيروت، الجفان والجابي للطباعة والنشر-قبرص، 1994م.
- القلقشندي، أبي العباس أحمد (ت. 821ه)، القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2004م. (طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب الخديوية)
- الكتبي، محمد بن شاكر (ت. 764ه)، فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1973م.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت. 774ه)، البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، 1998م.
- كشاجم، محمود بن الحسن الكاتب (ت. 358ه)، المصايد والمطارد، تحقيق محمد أسعد طلس، مطبوعات دار اليقظة، بغداد، 1954م.
- المقريزي، أحمد بن علي (ت. 845ه):
  - المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991م.
  - المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، قابله بأصوله وأعده للنشر أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 2002م.
  - السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة وسعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2009م.
- ابن منقذ، أسامة (ت. 584ه) الاعتبار، تحقيق عبد الكريم الأشتر، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، 2003م.
- ابن منكلي، محمد (توفى بعد سنة 778ه)، أنس الملا بوحش الفلا، نشر فلوريان فرعون Florian Pharaon، باريس، 1880م
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت. 732ه)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج8، دار الكتب المصرية، 1931م، ج9، ج10، دار الكتب المصرية، 1933م، ج30، تحقيق محمد عبد الهادي شعيرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1990م، ج31، تحقيق الباز العريني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992م، ج33، ط3، تحقيق مصطفى حجازي، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2008م.
- النويري الإسكندراني، محمد بن القاسم بن محمد (ت. 775ه) الإلمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الإسكندرية، مج2، ج4، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2010م. (نسخة مصورة عن طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية).
- الهرثمي، مختصر سياسة الحروب، تحقيق عبد الرؤوف عون، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، 1964م.

- ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت. 697ه)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج6، تحقيق عمر تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، 2004م.
- ابن الوردي، عمر (ت. 749ه)، تتمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي)، ج2، المطبعة الوهبية الزاهية، القاهرة، 1868م.
- اليونيني، موسى بن محمد (ت. 726ه)، ذيل مرآة الزمان، صحح تحت اعانة وزارة معارف الحكومة العالية الهندية، حيدر آباد-الهند، 1955م.

المراجع:

- إبراهيم ماضي، **زي الأمراء المماليك في مصر والشام**، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2009م)، ص 162-163
- أحمد محمد عطوة، الشفاعة في العصر المملوكي الأول (648-784هـ/1205-1382م) دراسة تاريخية تحليلية، (الرياض: الجميعة التاريخية السعودية، 1435هـ/2014م).
- البدراوي زهران، في علم اللغة التاريخي "دراسة تطبيقية على عربية العصور الوسطى"، دار المعارف، القاهرة، 1999م.
- البقلي، محمد قنديل، التعريف مصطلحات صبح الأعشى، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984م
- سعيد عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1994م.
- عبد العال عبد المنعم محمد الشامي، السرحات السلطانية أماكن الترويح والصيد والفروسية في مصر زمن الأيوبيين والمماليك (567-923ه)، الجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت، 1994م.
- محمد الششتاوي، متنزهات القاهرة في العصرين المملوكي والعثماني، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1999م.
- محمد رمزي، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة 1945م، مج2، ق2، ج1، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2010م.
- محمد فتحي الشاعر، الشرقية في عصري سلاطين الأيوبيين والمماليك، دار المعارف ، القاهرة، 1997م.
- منصورة خلف صلاح الدين، سرحات السلاطين والآمراء الآقليمية ومتنزهاتها بمصر في العصر المملوكي (648-923ه/1250-1517م)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة جنوب الوادي، مصر، 2012م.
- نبيل محمد عبد العزيز، الملاعيب في عصر سلاطين المماليك، ق2، الرياضات البدنية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2002م
- نبيل محمد عبد العزيز، رياضة الصيد في عصر سلاطين المماليك، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1999م.
- نهلة أنيس مصطفى، سرحات الصيد والتريض والنزهة لسلاطين المماليك بمصر، ع17، مجلة كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، القاهرة، 1999م.